نصرة الحق

رد على شيخ في أحد الدول العربية

حول بعض العقائد المختلف عليها

بقلم

اسكندر جديد

الأخ الكريم

أتمنى لك نعمة من الله وسلام, وبعد، وصلني خطابكم الكريم، وفيه تطالب بتبادل النية الحسنة، والرغبة الصادقة في نصرة الحق، ونبذ الجمود الفكري، والتعصب الطائفي، في حوار لإنقاذ البشرية من الفوضى، والخروج بها من الظلام إلى النور,,, فمرحى للمطلب وألف مرحى!

بيد أنني حين استعرضت الأسئلة التي أرسلتها، توقفت عند السؤال الثاني، وهو من أعطى المجامع حق ترشيح عيسى ومريم والروح القدس للألوهية؟ توقفت والأسف يمضني أن أرى النية الحسنة وأخواتها وقد تلاشت بهذا السؤال، ولم يعد لها أثر على صعيد الحوار الذي اقترحته لإنقاذ البشرية,,, فبهذا السؤال تحمل وزراً ثقيلاً من التجني على حق المسيحية كدين الله الحق, ويزيد في أسفي أن يكون محاورنا الكريم، الذي لقب نفسه بناصر الحق وجندي الحقيقة في غاية البعد عن الحقيقة، وبالتالي متجنياً على الحق, وأن يؤخذ بأوهام أهل البدع، فيتهم المسيحيين بتأليه مريم, وقبل أن أبدأ بالرد على الأسئلة، لا بد لي من أن أخبرك بأنك لم تصب أي هدف بكلمتك القائلة: أرجو أن تطلع على أسئلتي وترد عليها لتعرف الجرم الذي أنت إحدى ضحاياه وثقل ما ترسف فيه من قيود وأغلال لأنني سمعت كلام يسوع، ويسوع له المجد قال: إِنْ ثَبَتُّمْ فِي كَلَامِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تَلَامِيذِي، وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ والْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ - يوحنا 8: 31-32 .

والحق أقول، إن كلام المسيح حررني من كل العقد، بما فيها عقدة رد الإساءة بمثلها، لأن روح الله القدوس ثبتني في وصيته القائلة: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لَاعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الْأَشْرَار والصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الْأَبْرَار وَالظَّالِمِينَ - متى 5: 44 و45 . وبالفعل فحين تلوت كلماتك السيئة، صليت لأجلك, قبل تلاوة ردي على أسئلتك المطروحة، تفضل بقبول أطيب تحياتي,

خادم الرب يسوع المسيح

اسكندر جديد

القسم الأول

1 - قال القديس أغسطينوس: أنا مؤمن، لأن ذلك لا يتفق مع العقل، فأي فرق بين المجنون وبين من يلغي عقله؟

لم تذكر المرجع الذي اقتطعت منه كلمة أغسطينوس، لمراجعتها في ضوء قرائنها, لأنه من السهل على المرء أن يفسر آية عبارة مقتطفة وفقاً لغرضه, وعلى أي حال فالكلمة إيمان تفرض على الإنسان قبول الغيبيات،

التي لا يستطيع إدراكها بالعقل، وقد جاء في كتاب الله: وَأَمَّا الْإِيمَانُ فَهُوَ الثِّقَةُ بِمَا يُرْجَى والْإِيقانُ بِأُمُورٍ لَا تُرَى - عبرانيين 11: 1 . وهذا القول لا يختلف عن تعريف العلماء للإيمان, فقد قالوا أنه التصديق المبني على الشهادة، لا على الحواس, لأن الإيمان هو الثقة بما يرجوه المؤمن، وهو لا يراه فخرج بهذا القيد على ما كان الإنسان حاصلاً عليه، أو ما كان يراه, ولما كان موضوع الإيمان ما يُرجى وما لا يُرى، عرف أنه مبني على شهادة الغير لنا, لا على شهادة حواسنا, وعلى ذلك يكون الإيمان بالله مثلاً، الإيقان بوجود الله، بناء علىشهادة أعماله, والإيمان بقيامة الموتى، ه و اليقين المبني على شهادة الله في كتابه, والإيمان بالسماء التي نرجوها ولا نراها، هو الإيقان بوجودها بناء على شهادة الكتب الموحى بها,

1 - إننا نؤمن بحوادث تاريخية بناء على شهادة المؤرخين وبالحقائق العلمية بناء على شهادة العلماء, وبخبر الخلق والسقوط والفداء، بناء على شهادة الوحي، وفقاً لنص الكتاب المقدس القائل: بِالْإِيمَانِ نَفْهَمُ أَنَّ الْعَالَمِينَ أُتْقِنَتْ بِكَلِمَةِ اللّهِ - عبرانيين 11: 3 - وكذلك كل التعاليم عن الحياة الأبدية، والتجديد والتبرير والتقديس، والاتحاد بالمسيح، والقيامة والدينونة في اليوم الأخير، فإن هذه كلها قبلت بناء على شهادة الله,

2 - إن الكتاب المقدس يعرف الإيمان كذلك, فالعهد الجديد سمي شهادة يسوع، ويسوع في الواقعه لم يأت فيلسوفاً، بل شاهداً، بدليل قوله للرئيس اليهودي نيقوديموس: اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّنَا إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ بِمَا نَعْلَمُ وَنَشْهَدُ بِمَا رَأَيْنَا، وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَ شَهَادَتَنَا - يوحنا 3: 11 . وما رآه وسمعه به يشهد، وشهادته ليس أحد يقبلها، ومن قبل شهادته فقد ختم أن الله صادق - يوحنا 3: 31-33 .

وكذلك رسل المسيح كانوا شهوداً، إذ عينهم المسيح للشهادة، حين قال لهم: لٰكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُونَ لِي شُهُوداً فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ والسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ - أعمال 1: 8 .

وكان أعظم ما اعترض به على الرسل في بلاد اليونان، أنهم لم ينادوا بتعاليم كقضايا تقبل البرهان، ولا يبنوا الأسس الفلسفية لتعاليمهم، ولا ثبتوها ببراهين عقلية, وقد أجاب رسول الجهاد العظيم بولس على هذا الاعتراض، فقال: إن الفلسفة التي هي حكمة البشر، لا تبلغ القضايا العظمى المتعلقة بالله وبأعماله، وبالخطية والفداء، وهي جهالة بالنسبة لأمور الله, وقال أيضاً إن الحقائق التي علمها لم تكن من حقائق العقل, بل من الإعلان، ويجب أن نصدقها، لا بناء على المبادئ العقلية أو الفلسفية، بل شهوداً, وأنهم لم يبرهنوا الأمور الروحية بكلام الحكمة الإنسانية، وإنما نادوا بمشورات الله, وأن الإيمان بالتعاليم الموحى بها، يجب أن يكون مبنيّاً على شهادة الله الصادقة، لا على حكمة الإنسان,

ومن الأدلة على تعليم الكتاب في الإيمان أنه التصديق بناء على الشهادة،أمره لنا بأن نؤمن بخبر الوحي بأمور الفداء إذ يقول: مَنْ لَا يُصَدِّقُ اللّه فقدْ جَعَلَهُ كَاذِباً، لِأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِالشَّهَادَةِ الَّتِي قَدْ شَهِدَ بِهَا اللّهُ عَنِ ابْنِهِ. وَهٰذِهِ هِيَ الشَّهَادَةُ: أَنَّ اللّه أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَه ذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ فِي ابْنِهِ - 1 يوحنا 5: 10-11 . ولا يمكن أن يعبر عن تعليم الكتاب بشأن حقيقة الإيمان، بكلام أوضح من هذه الأقوال,

والخلاصة أن موضوع الإيمان، هو إعلان الله، وأساسه شهادة الله, فمن قبل هذه الشهادة فقد ختم أن الله صادق, ومن يرفضها يجعله كاذباً، وهذا أشهر أنواع الكفر,

فإذا قبلنا شهادة الناس فشهادة الله أعظم, هذا تعليم الكتاب المستمر، والأساس الذي نبني عليه إيماننا، ليس هو موافقة الحق المعلن لعقولنا وحسب، ولا تأثيره في حواسنا، ولا كفايته للقيام بحاجات طبيعتنا وأحوالنا، بل مجرد كونه كلام الله, وله هذا الختم: هكذا قال الرب ,

ويتضح كذلك تعريف الكتاب المقدس للإيمان، من أمثلة الإيمان فيه، فإن الله وعد أبوينا الأولين على أثر السقوط بأن نسل المرأة - يسوع - يسحق رأي الحية - إبليس - والإيمان بهذا الوعد مبني على شهادة الله,

ولما أنذر نوح بمجيء الطوفان وأمره الله بأن بني ويعد الفلك، آمن ليس لأنه رأى علامات بمجيء الطوفان، لا لأن عقله برهن له أن الإله العادل مزمع على أن ينتقم لشريعته من الناس على هذا الأسلوب، بل بناء على شهادة الله فقط,

وكذلك وعد الله إبراهيم بأن امرأته العقيم سارة ستلد له وارثاً إذ نقرأ في الكتاب العزيز: بِالْإِيمَانِ سَارَةُ نَفْسُهَا أَيْضاً أَخَذَتْ قُدْرَةً عَلَى إِنْشَاءِ نَسْلٍ، وَبَعْدَ وَقْتِ السِّنِّ وَلَدَتْ، إِذْ حَسِبَتِ الَّذِي وَعَدَ صَادِقاً - عبرانيين 11: 11 - فبحسب الظاهر، هذا القول مخالف للعقل كما نرى في الخبر، حيث قيل: وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ شَيْخَيْنِ مُتَقَدِّمَيْنِ فِي الْأَيَّامِ، وَقَدِ انْقَطَعَ أَنْ يَكُونَ لِسَارَةَ عَادَةٌ كَا لنِّسَاءِ - تكوين 18: 11 . أي إن سارة كانت قد تجاوزت التسعين عاماً من العمر، وفات الزمان الذي فيه تحمل النساء وتلد, ومع أن الأمر غير معقول حسب الطبيعة، إلا أن سارة آمنت، وبالنظر إلى كونها شريكة إبراهيم في إيمانه، ولدت بقدرة الله اسحق في شيخوختها,

وبناء على ذلك يصح تعريف الإيمان بأنه تصديق الحق, بناء على الشهادة, وإيمان المسيحيين بما فيهم أغسطينوس هو الاقتناع بصدق الحوادث والتعاليم المدونة في الكتاب المقدس بناء على شهادة الله,

2 - من أعطى المجامع حق ترشيح عيسى ومريم وروح القدس للألوهية؟ وإن كان لها هذا الحق في ذلك، أفلا يكون لها حق عزلهم من الألوهية وترشيح غيرهم؟ وحق إصدار القرارات بعصمة البابا، وبمنح الكنيسة حق الغفران والحرمان؟

قبل الرد على السؤال، أذكرك بقول القرآن: وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ - سورة العنكبوت 29: 46 . فأنت في طرح سؤالك على هذه الصورة، خرجت على مبدأ الكياسة التي ألزم القرآن بها كل مسلم أما الرد على السؤال فهو:

1 - إن المسيحية لا تؤله مريم، والآن اسمح لي بأن أهمس في أذنك بأنك بسؤالك هذا لم تكتشف أمراً مهماً، فقد ورد هذا السؤال في القرآن هكذا: وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ - سورة المائدة 5: 116 . وقد نشأ هذا السؤال من وجود أهل بدعة عند ظهور الإسلام, وهم أناس وثنيون، حاولوا الالتصاق بالكنيسة، فنادوا ببدعة مفادها أن مريم العذراء آلهة, ويقول المؤرخون أنهم استعاضوا بها عن الزهرة، التي كانوا يعبدونها قبلاً, وقد أطلقوا علىأنفسهم اسم المريميين, وأشار إليهم العلامة أحمد المقريزي في كتابه القول الإبريزي صفحة 26, وذكرهم ابن حزم في كتابه الملل والأهواء والنحل صفحة 48, ولكن هذه البدعة بعيدة كل البعد عن المسيحية، وليس من مسيحي واحد يؤمن بها, وقد انبرى العلماء المسيحيون منذئذ لمقاومة هذه الضلالة بكل الحجج الكتابية والعقلية, ولم ينته القرن السابع، حتى كانت قد تلاشت تماماً,

وبالمناسبة أود أن أذكر الصديق السائل بأن الإسلام لم يخل من أهل بدع التصقوا به، وعددهم يبلغ العشرات، أذكر منهم:

السبانية: أتباع عبد الله بن سبأ، وهم يعتقدون بأن علي بن أبي طالب إله, ولما عاقبهم حرقاً بالنار، قالوا الآن علمنا أنك إله, لأن الإله هو الذي يعذب بالنار,

الشيطانية: أتباع محمد بن نعمان الملقب بشيطان الطاق, ومن ممارساتهم الدينية، أنهم يكرمون الشيطان,

الجناحية: أصحاب عبد الله بن معاوية ويعتقدون بأن الأئمة الاثني عشر آلهة، وبأن روح الله كانت في آدم ثم تناسخت حتى صارت في صاحبهم عبد الله المذكور الملقب بذي الجناحين,

البزيغة: أصحاب بزيغ بن موسى، وكانوا يقولون بأن جعفر الصادق هو الله وإنما تشبه للناس بصورة إنسان,

الحائطية: وهم أتباع أحمد بن حائط, ومن تعاليمهم أن للخلق إلهين، أحدهما خالق والآخر مخلوق,

المزدارية: وهم أتباع عيسة بن صبح، الملقب بالمزدار, ومن أقوالهم: أن الله قادر على أن يكذب ويظلم وقالوا أن القرآن مخلوق، وأن بلاغته وفصاحته لا تعجزان الناس، بل يقدرون على الإتيان بمثله, وفرق أخرى متعددة لا يتسع مجال هذه الرسالة لذكرها كلها, فهل الإسلام مسؤول عن وجود هذه الفرق المبتدعة، وبالتالي هل وجودها يشكل طعناً في الديانة الإسلامية؟

ب - إن كلمة ترشيح لا تصح على يسوع المسيح لأن الألوهية منزهة عن الترشيح، ولو كره الصديق الناقد، الخارج على كياسة الإسلام, فالمسيح إله حق من إله حق, وهو أعلن ذلك، وقد سمعته الجماهير, وقرأ شهادته الملايين من البشر على اختلاف درجاتهم وعقلياتهم، حكماء وفلاسفة وبسطاء، وعلماء كبار وصغار، فاشرأبت أعناقهم وفتحوا قلوبهم وعيونهم، قبل آذانهم، لاستيعاب ما يفيض من أقوال مجيدة عن نفسه، يستمعونه بإعجاب وتعظيم,

وقال أحد الكتاب الكبار الألمان: لو كان المسيح مجرد معلم، لكان كلامه عن نفسه وتوجيه أنظار الناس إليه والإيمان به ثالباً لصفاته,,, ولكن بما أن مخلص العالم، كان من الضروري والواجب المحتوم، أن يشدد المسيح في الكلام عن نفسه، والإشارة إلى شخصيته العجيبة، لكي يؤمن الناس به, لأن الذي يؤمن به، يخلص,

قال القمص سرجيوس: ومن عجب المسيح ودلالة تفرده عن البشر قاطبة, إننا حين نطالع الإنجيل نجد أن المسيح، أينما ذهب وأينما حل تقوم الأسئلة الكثيرة وتدور حوله, وكان موقف الناس بإزائه عبارة عن علامة استفهام, فكان كلما تكلم، وكلما عمل يكون موضوع سؤال الناس,

قالوا عندما سمعوه يتكلم ورأوه يعمل: مِنْ أَيْنَ لِه ذَا هذِهِ الْحِكْمَةُ والْقُوَّاتُ؟ أَلَيْسَ هذَا ابْنَ النَّجَّارِ؟,,, مَا هذَا؟ مَا هُوَ هذَا التَّعْلِيمُ الْجَدِيدُ؟ لِأَنَّهُ بِسُلْطَانٍ يَأْمُرُ حَتَّى الْأَرْوَاحَ النَّجِسَةَ فَتُطِيعُهُ! - متى 13: 54 و55 ومرقس 1: 27 . وكثير وكثير من الأسئلة قامت عليه,

فما هذه الأسئلة حوله؟ أليست دليلاً على أن المسيح شخص عجيب، لم يكن كغيره من البشر، وأن هناك فارقاً عظيماً بينه وبين الناس، يشعر به كل من يراه ويسمعه؟

إن شهادة المسيح لنفسه، ما كانت لتقوم لولا أنه إله وليس مجرد بشر لأن الله وحده هو الذي يشهد لنفسه، أما كون المسيح خارقاً للطبيعة، فهذا واضح من تصريحاته:

1 - السلطان: دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ - متى 28: 18 .

2 - الوحدة الإلهية: أَنَا والْآبُ وَاحِدٌ - يوحنا 10: 30 - أَنِّي فِي الْآبِ والْآبَ فِيَّ - يوحنا 14: 11 - اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْآبَ - يوحنا 14: 9 .

3 - الأزلية: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ - يوحنا 8: 58 . وهذا الإعلان أخطر ما صرح به المسيح لأن الكمة أنا كائن هي ذات اللفظة التي عبر بها الله الآب عن نفسه، حين سأله موسى: بماذا أجيب الشعب إذ سألني من أرسلك إلينا - خروج 3: 12-14 - ، وهذا الإعلان يفيد أن المسيح يرى في شخصه ذات الإله القديم، الذي ظهر في العليقة لموسى، على جبل حوريب - قال المسيح للرسول يوحنا، حين ظهر له في جزيرة بطمس: أَنَا هُوَ الْأَلِفُ والْيَاءُ، الْبِدَايَةُ والنِّهَايَةُ، يَقُولُ الرَّبُّ الْكَائِنُ والَّذِي كَانَ والَّذِي يَأْتِي، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ - رؤيا 1: 8 .

- الألف والياء هما الحرفان الأول والآخر من حروف الهجاء, وهما في الأصل اليوناني الذي كتب به الإنجيل ألفاً وأميغا وهما يعبران عن أزلية المسيح وأبديته الإله الذي ليس قبله شيء,

الكائن والذي كان والذي يأتي، هذا تصريح بسرمدية المسيح وقوته غير المحدودة,

4 - اله يتكلم في المسيح: قال له المجد: الْكَلَامُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، ل كِنَّ الْآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ - يوحنا 14: 10 .

5 - وجوده في السماء وعلى الأرض، في حديثه مع الرئيس اليهودي نيقوديموس قال المسيح: وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ - يوحنا 3: 13 . فهنا نلاحظ أن المسيح يتحدث ليس فقط عن مجيئه من السماء، بل أيضاً عن وجوده الدائم في السماء,

6 - إنه ديان الأحياء والأموات: وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ، فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ، فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ، فَيُقِيمُ الْخِرَافَ عَنْ يَمِينِهِ والْجِدَاءَ عَنِ الْيَسَارِ. ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. لِأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيباً فَآوَيْتُمُونِي. عُرْيَاناً فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضاً فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوساً فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ. فَيُجِيبُهُ الْأَبْرَارُ حِينَئِذٍ: يَا رَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعاً فَأَطْعَمْنَاكَ، أَوْ عَطْشَاناً فَسَقَيْنَاكَ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ غَرِيباً فَآوَيْنَاكَ، أَوْ عُرْيَاناً فَكَسَوْنَاكَ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ مَرِيضاً أَوْ مَحْبُوساً فَأَتَيْنَا إِلَيْكَ؟ فَيُجِيبُ الْمَلِكُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَ

كُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلَاءِ الْأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ. ثُمَّ يَقُولُ أَيْضاً لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ: اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلَاعِينُ إِلَى النَّارِ الْأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لِإِبْلِيسَ وَمَلَائِكَتِهِ - متى 25: 31-41 .

فالمسيح بتصريحه هذا أبان أنه ديان الجميع العادل، وأنه سيأتي بمجد عظيم مع ملائكته، وتكون دينونته قاطعة ونهائية, وقد أصر على هذا التصريح في اثناء محاكمته أمام قيافا رئيس الكهنة لما سأله إن كان هو المسيح ابن الله الحي، فأجاب: أَنْتَ قُلْتَ! وَأَيْضاً أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الْآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ جَالِساً عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِياً عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ - متى 26: 63-64 .

فلو كان المسيح مجرد إنسان كاذب، لكان حين رأى حكم الموت الذي صدر عليه بسبب هذا الادعاء، تراجع عن تصريحه لينجو من حكم الموت, فكيف يكون إذن مجرد إنسان ويدين كل العالم، حسب عمل كل واحد، خيراً كان أم شراً,

7 - حضوره في كل زمان ومكان: قال لتلاميذه: وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ - متى 28: 20 - لِأَنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ بِا سْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسَطِهِمْ - متى 18: 20 .

8 - إنه واضع الناموس ومكمله: فقد قال: قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لَا تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ,,,é قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لَا تَزْنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ. سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لَاعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ - متى 5: 21-48 .

أعمال المسيح تشهد بألوهيته:

- 1 - إقامة الأموات - لوقا 7: 13-15، مرقس 5: 22، يوحنا 11: 1-27 -

- 2 - غفران الخطايا - مرقس 2: 5-12 - لأن غافر الخطايا هو الله,

- 3 - العلم بالخفيات لوقا 22: 2-12 .

- 4 - سلطانه على عناصر الطبيعة - لوقا 8: 22-25 .

- 5 - إرساله الروح القدس - يوحنا 15: 26 .

- 6 - كونه خالق الكل - كولوسي 1: 16 .

شهادة الآب بألوهيته:

لقد أعلن الآب ذلك بوحيه إلى الأنبياء الذين كتبوا الأسفار المقدسة,

لِأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْناً، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً، مُشِيراً، إِلَهاً قَدِيراً، أَباً أَبَدِيّاً، رَئِيسَ السَّلَامِ - إشعياء 9: 6 .

وَلَكِنْ يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ - ا لَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللّهُ مَعَنَا - إشعياء 7: 14، متى 1: 23 .

شهادة الرسل بألوهيته:

إن شهادة الرسل الذين درسوا الديانة اليهودية، التي نعلم التوحيد ذات أهمية كبرى وقد جاءت شهادتهم عن طريق الأثر القوي الفعال الذي انطبع في عقولهم وقلوبهم وضمائرهم من حياة يسوع الفائقة الطبيعة وتعاليمه السماوية وأعماله العجيبة، حتى آمنوا بألوهيته, وفي كل ما كتبوه عن لاهوته وتركوا كل شيء وتبعوه، لم يشعروا بأنهم أتوا أمراً غير عاد أو مخالف لعقيدتهم التوحيدية ففي الأناجيل التي دونوها والرسائل التي كتبوها، نسبوا إليه كل الصفات التي اعتادوا أن يعزوها إلى الله, ذلك لأنهم وجدوافي المسيح ينبوعاً لحياتهم الروحية وفي كرازاتهم المدونة تكملوا عنه كقوة قديرة حاضرة وقد تأكدوا من أزليته ومجده الإلهي قبل أن يتجسد, وخلاصة القول أن أكبر مكابر لا يستطيع أن ينكر أن الرسل والمسيحيين الأوائل عبدوا يسوع كرب, وها هي عينات من شهاداتهم:

مرقس الإنجيلي: هذا التلميذ افتتح إنجيله بالقول بَدْءُ إِنْجِيلِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ اللّهِ - مرقس 1: 1 . وختمه بالقول: ثُمَّ إِنَّ الرَّبَّ بَعْدَمَا كَلَّمَهُمُ ارْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ، وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ اللّهِ. وَأَمَّا هُمْ فَخَرَجُوا وَكَرَزُوا فِي كُلِّ مَكَانٍ، والرَّبُّ يَعْمَلُ مَعَهُمْ وَيُثَبِّتُ الْكَلَامَ بالآيَاتِ التَّابِعَةِ - مرقس 16: 19-20 .

يوحنا الإنجيلي: افتتح هذا البشير إنجيله بالقول: فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، والْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللّه. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللّهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ - يوحنا 1: 1-3 .

ولقد وردت الكلمة في اليونانية - التي هي لغة الإنجيل الأصلية - بلفظة لوغوس ومعناها النظام الذي يسود الكون، أو الوسيط بين الله والكون, والذي به خلق الله الكون,

لذلك ألهم يوحنا أن يبين لليهود واليونانيين معنى الكلمة، فقال: في البدء كان الكلمة كلمة البدء هنا تعني الأزل أي أن وجود الكلمة، كان سابقاً لكل وجود,

ولكي يقضي على فكرة القائلين بأن الله لا يمكن أن يتصل بالمادة، قال: والْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْداً كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً - يوحنا 1: 14 .

بطرس الرسول: قال هذا الرسول في شهادته أمام جمهور اليهود: أَيُّهَا الرِّجَالُ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هذِهِ الْأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللّهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللّهُ بِيَدِهِ فِي وَسَطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضاً تَعْلَمُونَ. هذَا أَخَذْتُمُوهُ مُسَلَّماً بِمَشُورَةِ اللّهِ الْمَحْتُومَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِق، وَبِأَيْدِي أَثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ. اَلَّذِي أَقَامَهُ اللّهُ نَاقِضاً أَوْجَاعَ الْمَوْتِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِناً أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ.,, فَلْيَعْلَمْ يَقِيناً جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللّه جَعَلَ يَسُوعَ هذَا، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ، رَبّاً وَمَسِيحاً - أعمال 2: 22-36 .

بولس الرسول: قال هذا الرسول بإلهام الروح القدس: ل كِنَّنَا نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةٍ بَيْنَ الْكَامِلِينَ، وَل كِنْ بِحِكْمَةٍ لَيْسَتْ مِنْ هذَا الدَّهْرِ، وَلَا مِنْ عُظَمَاءِ هذَا الدَّهْرِ، الَّذِينَ يُبْطَلُونَ. بَلْ نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةِ اللّهِ فِي سِرٍّ: الْحِكْمَةِ الْمَكْتُومَةِ، الَّتِي سَبَقَ اللّهُ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا، الَّتِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هذَا الدَّهْرِ - لِأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ - 1 كورنثوس 2: 6-8 .

فيسوع صار في صورة إنسان حين تجسد، وفي الوقت نفسه كان إلهاً لم يعرفه أبناء هذا الدهر, ولو أنهم عرفوا أنه رب المجد لامتنعوا عن صلبه,

وقال في مكان آخر: لكِنْ لَنَا إِلهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ بِهِ - 1 كورنثوس 8: 6 .

وقال في رسالته إلى أهل كولوسي: شَاكِرِينَ الآبَ الَّذِي أَهَّلَنَا لِشَرِكَةِ مِيرَاثِ الْقِدِّيسِينَ فِي النُّورِ، الَّذِي أَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ وَنَقَلَنَا إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ، الَّذِي لَنَا فِيهِ الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللّهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ,,, فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ

عُرُوشاً أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلَاطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. اَلَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ - كولوسي 1: 12-17 .

وقال أيضاً: اُنْظُرُوا أَنْ لَا يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالْفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِلٍ، حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ، حَسَبَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ. فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللَّاهُوتِ جَسَدِيّاً. وَأَنْتُمْ مَمْلُوؤُونَ فِيهِ، الَّذِي هُوَ رَأْسُ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ - كولوسي 2: 8-10 .

قال رجل الله ستانلي جونس: إني أعرف أن لا شيء أسمى وأجدر بالله وبالإنسان من مشابهة يسوع المسيح لأني أعتقد إن كان الله مثل المسيح فهو إله صالح، يمكن الاتكال عليه والثقة فيه، لأن شكوك العالم ليست عن المسيح، بل هي عن الله لأن الناس حين يرون الزلازل تبيد الأبرار والأثمة على السواء, وحين يرون الأطفال يقاسون ألوان العذاب من أمراض مختلفة يتحيرون ويتساءلون أيوجد إله صالح في هذا الكون؟ ولكن الفكر المضعضع المرتاب يلتفت إلى يسوع المسيح بطمأنينة ويقول: إن كان الله مثل هذا فهو إله حق, ونحن كمسيحيين نقول أن الله كذلك فهو كالمسيح في سجيته ونعتقد أن الله هو يسوع المسيح في كل مكان وأن يسوع المسيح هو الله معنا, إنه حياة البشرية,

ولو اجتمع أكبر أصحاب العقول والنفوس بين الناس وشحذوا قرائحهم ليتوصلوا إلى معرفة صفات الإله الذي يودون أن تكون له سيادة الكون، لوجدوا أن صفاته الأدبية والروحية تتخذ صورة شبيهة بصورة يسوع، ومما لا ريب فيه إن أعظم بشارة أعلنت للجنس البشري، هو القول الموحى به من الله: عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللَّهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ - 1 تيموثاوس 3: 16 - وإن أعظم ما نستطيع إذاعته على العالم غير المسيحي، هو أن الله الذي تعرفون عنه شيئاً غير جلي، ولم تعرفوا حقيقة صفاته لهو مثل يسوع المسيح وفي يقيني إن كان الله يعطف على الأطفال كما كان المسيح يعطف عليهم ويهتم بالأبرص والمنبوذ والأعمى والمشلول كما كان يسوع يهتم بهم وإن كان قلبه يشبه ذلك القلب الذي انكسر على صليب الجلجثة، فإني لن أحجم عن أن أقدم له قلبي بلا تحفظ ,

ج - كلمة ترشيح: لا تنطبق على الروح القدس لأن الروح القدس هو الله وإليك النصوص التي تثبت ذلك:

قال الرب يسوع في حواره مع المرأة السامرية: وَلَ كِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ، وَهِيَ الْآنَ، حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلْآبِ بِالرُّوحِ والْحَقِّ، لِأَنَّ الْآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هؤُلَاءِ السَّاجِدِينَ لَهُ. اَللَّهُ رُوحٌ. والَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ والْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا - يوحنا 4: 23-24 .

وقال الرسول بطرس لحنانيا الغاش: يَا حَنَانِيَّا، لِمَاذَا مَلَأَ الشَّيْطَانُ قَلْبَكَ لِتَكْذِبَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ وَتَخْتَلِسَ مِنْ ثَمَنِ الْحَقْلِ؟ أَلَيْسَ وَهُوَ بَاقٍ كَانَ يَبْقَى لَكَ؟ وَلَمَّا بِيعَ، أَلَمْ يَكُنْ فِي سُلْطَانِكَ؟ فَمَا بَالُكَ وَضَعْتَ فِي قَلْبِكَ هذَا الْأَمْرَ؟ أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى اللَّهِ - أعمال 5: 3-4 .

لعل اعتراضك مبني على تعاليم الإسلام، القائلة بأن الروح القدس هو الملاك جبرائيل، الأمر الذي لا تقره المسيحية لأن جبرائيل ملاك مخلوق، بينما الروح القدس إله خالق، بدليل قول الكتاب المقدس:

رُوحُ اللَّهِ صَنَعَنِي وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ أَحْيَتْنِي - أيوب 33: 4 .

تُرْسِلُ رُوحَكَ فَتُخْلَقُ. وَتُجَدِّدُ وَجْهَ الْأَرْضِ - مزمور 104: 30 .

ومن ألقاب الروح القدس الواردة في الكتاب المقدس روح الرب - روح المسيح - روح الله القدوس - الروح القدس - روح الحق - روح القداسة وكلها تدل على أنه الله نفسه,

د - عصمة البابا: نحن رعايا الكنائس الإنجيلية المصلحة، خارج سلطة البابا, لذلك فالأصلح لك أن تطرح سؤالك على أحد أتباعه,

ه - حق الكنيسة في الحرمان والغفران: ليس في تعليم الإنجيل ما يُمسى بالحرمان، بل هنالك تعليم يقضي بعزل الخاطي عن شركة المؤمنين إلى أن يتوب, فإذا تاب ورجع إلى الله، تعلن الكنيسة قبوله مجدداً في الشركة, وهذا التعليم منبي على الوصايا الرسولية التالية:

وَأَمَّا الآنَ فَكَتَبْتُ إِلَيْكُمْ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ مَدْعُوٌّ أَخاً زَانِياً أَوْ طَمَّاعاً أَوْ عَابِدَ وَثَنٍ أَوْ شَتَّاماً أَوْ سِكِّيراً أَوْ خَاطِفاً، أَنْ لا تُخَالِطُوا وَلا تُؤَاكِلُوا مِثْلَ هذا.,, فا عْزِلُوا الْخَبِيثَ مِنْ بَيْنِكُمْ - كورنثوس الأولى 5: 11-13 .

ثُمَّ نُوصِيكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، با سْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنْ تَتَجَنَّبُوا كُلَّ أَخٍ يَسْلُكُ بِلا تَرْتِيبٍ، وَلَيْسَ حَسَبَ التَّعْلِيمِ الَّذِي أَخَذَهُ مِنَّا - 2 تسالونيكي 3: 6 .

أما تعليم الغفران فمبني على وصايا الرب يسوع نفسه، إذ قال:

اِحْتَرِزُوا لِأَنْفُسِكُمْ. وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَوَبِّخْهُ، وَإِنْ تَابَ فا غْفِرْ لَهُ. وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ وَرَجَعَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ قَائِلاً: أَنَا تَائِبٌ فَاغْفِرْ لَهُ - لوقا 17: 3-4 .

وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَاذْهَبْ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَحْدَكُمَا. إِنْ سَمِعَ مِنْكَ فَقَدْ رَبِحْتَ أَخَاكَ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ، فَخُذْ مَعَكَ أَيْضاً وَاحِداً أَوِ اثْنَيْنِ، لِكَيْ تَقُومَ كُلُّ كَلِمَةٍ عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاثَةٍ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُمْ فَقُلْ لِلْكَنِيسَةِ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْكَنِيسَةِ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثَنِيِّ وَالْعَشَّارِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطاً فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاءِ - متى 18: 15-18 .

وقال الرسول يعقوب معقباً على هذا التعليم: أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنْ ضَلَّ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ عَنِ الْحَقِّ فَرَدَّهُ أَحَدٌ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ مَنْ رَدَّ خَاطِئاً عَنْ ضَلالِ طَرِيقِهِ يُخَلِّصُ نَفْساً مِنَ الْمَوْتِ، وَيَسْتُرُ كَثْرَةً مِنَ الْخَطَايَا - يعقوب 5: 19-20 .

و - وإذا كان لها الحق في ذلك أفلا يكون لها حق عزل من ألهتهم وترشيح آلهة أخرى؟

هذا القسم من السؤال يحمل معنى الاستهزاء، ونحن لا نتعامل مع المستهزئين وفقاً للتعليم النبوي القائل:
طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ الأَشْرَارِ، وَفِي طَرِيقِ الْخُطَاةِ لَمْ يَقِفْ، وَفِي مَجْلِسِ الْمُسْتَهْزِئِينَ لَمْ يَجْلِسْ - مزمور 1: 1 .

3 - هل وقع الصلب على أقنوم واحد دون بقية الأقانيم؟

إنه لمما يدعو للعجب أن يتقدم مسلم يتلو القرآن بسؤال كهذا، لأن القرآن نفسه نقل إلينا رواية اليهود عن صلب يسوع المسيح, إذ يقول: وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ - سورة النساء 4: 157 .

فالصلب وقع على الأقنوم الثاني لله، بناء على عهد الفداء بين الآب والابن, لأجل خلاص البشر, وهو من الأمور الخارجة عن إدراكنا وبما أن تعليم الفداء وارد في الكتاب المقدس وجب علينا قبوله, بدون الظن إننا قادرون أن نصل إلى ما يحيط به من أسرار الله, نعم، إننا نؤمن بإله واحد، أي كائن واحد له جميع الصفات الإلهية ولكن في اللاهوت ثلاثة أقانيم, هم جوهر واحد، ومتساوون في القدرة والمجد, ومن المحتملات التابعة شخصية كل من الأقانيم الثلاثة إمكان عقد عهد، بين أقنوم وآخر من الأقانيم، وإرسال أقنوم لغاية ما واتضاع أقنوم واحد تحت سلطان أقنوم ويمكن الواحد أن يحب الآخر، ويخاطبه ويرسله فيمكن الآب مثلاً أن يرسل الابن, عملاً ليعمله غير أن تحليل هذا الموضوع فوق إدراكنا, ولكن بما أن الكتاب المقدس علمه، وجب أن يكون قسماً من الإيمان المسيحي,

ويذكر الرسول بولس، أن عهد الفداء بين الآب والابن, كان مكتوماً منذ الأزمنة الأزلية في العقل الإلهي - رومية 16: 25 . وقال الرسول المغبوط في هذا الصدد: وَأُنِيرَ الْجَمِيعَ فِي مَا هُوَ شَرِكَةُ السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ فِي اللهِ خَالِقِ الْجَمِيعِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ - أفسس 3: 9، كولوسي 1: 26 .

والمسيح نفسه ذكر أن المواعيد بالفداء كانت قبل تجسده وأنه أتى إلى العالم لإجراء ما فوض له, وكل هذا يصدق على ما جرى بين الآب والابن, وأن تعبير الكتاب المقدس عن ذلك، هو أن الآب عين للابن عمل الفداء وأرسله إلى العالم, لكي يعمله وهذا العمل العظيم لزم المسيح:

- 1 - أن يتخذ طبيعتنا ويولد من امرأة ويوجد في الهيئة كإنسان، بحيث يكون عظماً من عظمنا ولحماً من لحمنا, أو كما قال الكتاب: مِنْ ثَمَّ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُشْبِهَ إِخْوَتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لِكَيْ يَكُونَ رَحِيماً، وَرَئِيسَ كَهَنَةٍ أَمِيناً فِي مَا للّه حَتَّى يُكَفِّرَ خَطَايَا الشَّعْبِ. لِأَنَّهُ فِي مَا هُوَ قَدْ تَأَلَّمَ مُجَرَّباً يَقْدِرُ أَنْ يُعِينَ الْمُجَرَّبِينَ -

عبرانيين 2: 17-18 . لِأَنْ لَيْسَ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلَا خَطِيَّةٍ. فَلْنَتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْناً فِي حِينِهِ - عبرانيين 4: 15-16 .

- 2 - أن يولد تحت الناموس - غلاطية 4: 3 - وأن يتعهد باختياره أن يكمل كل بر بطاعته للناموس طاعة كاملة، في جميع صوره، التي فرضت على الإنسان - متى 5: 17-18 .

- 3 - أن يقدم كفارة كافية لأجل خطايا العالم، مقدماً نفسه ذبيحة عن خطايا العالم - إشعياء 53: 1-12، 2 كورنثوس 5: 21، غلاطية 3: 13، أفسس 5: 20 - ولكي يتم ذلك التزم أن يعيش على الأرض، وأن يحتمل ما احتمله من الحزن والألم، والعار بالموب على الصليب,

أما من جهة الآب، فقد وعد بأن يهيئ له جسداً، أي يعد له مسكناً كجسد آدم، لكنه منزه عن الفساد ولا عيب فيه - عبرانيين 10: 5 - وأن يعطيه الروح القدس مسانداً، وأن يملأ كل طبيعته البشرية من النعمة والقوة، وأن يكون دائماً عن يمينه لكي يعضده في ساعات جهاده ضد قوات الظلمة، وأن يسحق الشيطان تحت قدميه، وأن يدفع إليه كل سلطان السماء وعلى الأرض - متى 28: 18، فيلبي 2: 6-18، يوحنا 5: 22 - وأن يفوض إليه إرسال الروح القدس، لأجل تجديد المؤمنين وتويرهم وإرشادهم وتعزيتهم وتقديسهم - يوحنا 15: 26، 16: 13، 17: 2، 7: 29، أعمال 2: 33 - وأن يتمجد الآب نفسه به، ويظهر بواسطته وفيه وفي كنيسته الصفات الإلهية الكاملة أمام أعين جيمع الناس والخلائق العاقلة فيرى من تعب نفسه ويشبع - أفسس 1: 12، إشعياء 53: 11 .

الفداء مشورة إلهية:

يثبت الكتاب المقدس أن عمل الخلاص بالفداء، جرى بمقتضى قصد سابق أو مشورة في ذهن الخالق, وهو يدعوه نظراً إلى إعلانه التام في وقت مجيء المسيح تَدْبِيرِ مِلْءِ الْأَزْمِنَةِ - وتدبير الله - لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ - أفسس 1: 10 - والسر المكتوم في الله خالق الجميع بيسوع المسيح الذي غاية الإنجيل العظيمة إعلانه, والذي قصد به إعلان حكمة الله المتنوعة بواسطة الكنيسة للرؤساء والسلاطين - أفسس 3: 9-11 .

ومقتضيات الخلاص الإلهي بالفداء ثلاثة:

1 - اختيار أو تعيين الغاية التي قصد إتمامها,

2 - إعداد الوسائط الموافقة لذلك الإتمام

3 - استعمال الوسائط الموافقة أو إجراؤها فعلاً لنوال الغاية المقصودة ولا ريب في أن هذه المقتضيات تمت عند إنفاذ الله لعمل الفداء بموجب مشورته السابقة ومما يؤيد ثقتنا في قضاء الله الأزلي في الخلاص وإجرائه فعلاً بحكم النظام, ما نراه في دائرة المخلوقات الطبيعية من احكام النظام لأن كل من له إلمام بالعلوم الطبيعية، يرى علامات الترتيب والإتقان في كل دائرة الطبيعة, فإن أجرام السماوات مثلاً, تظهر لعين الجاهل خليط نجوم لا نظام لها لكنها تظهر لعين الفلكي ذات منهاج سام وترتيب عجيب أي أن لكل الكواكب المنيرة الشاسعة أماكن معينة ومحاور ثابتة على أحسن إتقان, لا يعارض أحدها الآخر، بل يُساق بموجب الأنظمة، التي وضعت بحكمة الباري فالخالق له المجد، رب نظام وقضاء سابق في كل اعمال خليقته, فإذا كان الله يأتي ذلك في أعماله في الطبيعة فبالأولى جداً أن يأتيه في ما هو أسمى منها، أي في العلم الروحي الخاص بنصيب البشر بحيث لا يترك فيه شيئاً للاتفاق لذلك أوضح الكتاب المقدس نظام الله في أعمال النعمة، ولم يقتصر على القول بأنه عز وجل يرى الغاية من البداءة, بل زاد على ذلك بعمل كل شيء حسب رأي مشيئته كما هو مكتوب في أفسس 1: 11,

ولا يُخفى أنه إذا كان فداء الإنسان هو بحسب قضاء سابق يحيط بتدبير معين ورسم خاص، وجب أن يهمنا إدراك ذلك إدراكاً صحيحاً بواسطة مطالعة الكتاب المقدس والوقوف على كل تعاليمه في هذا الشأن، والبحث في اختيار البشر في الأمور الروحية، والتوصل إلى شهادة ذلك الاختبار بحقيقة عمل الفداء, كما هو جار في خلاص المؤمنين في كل الأزمنة,

وما من شك في أن الحاجة إلى الخلاص حاجة عامة لدى جميع الناس قال العالم كويني سمسون لا شيء اسهل من إثبات تهمة الخطية على الجنس البشري, وقال الرسول بولس: الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللّهِ - رومية 3: 23 . وقبله قال داود النبي الكل قد زاغو معاً فسدوا ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد - مزمور 14: 3 - وقال إشعياء النبي: كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ - إشعياء 53: 6 .

فإن كان للخلاص هذا الأثر وهذه الخطورة في حياة الإنسان وأبديته، فمن اللازم أن نسأل عن طبيعته ومعناه ومدلولة المحدد والضبط وفي كلمة، من الواجب أن نسأل ما هو الخلاص؟ مما ينبغي أن نخلص؟ ومن الواضح تماماً، أن المسيحية هي دين الخلاص، أولاً وأخيراً ومؤسسها وبانيها، لقبه الأول والأشهر يسوع المسيح مخلص العالم وأن الخلاص كما هو واضح من رسالة الإنجيل، هو خلاص الإنسان من الخطية فقد قال ملاك الله عن مريم العذراء فَسَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ، لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ - متى 1: 21 . ووصف يوحنا المعمدان يسوع بالقول: هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم , ويسوع قال عن نفسه: لِأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ - لوقا 19: 10 . وجاء في الكلمة الرسولية بفم بولس صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحِقَّةٌ كُلَّ قُبُولٍ: أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ الَّذِينَ أَوَّلُهُمْ أَنَا - 1 تيموثاوس 1: 15 .

ويعلم الكتاب المقدس أن خلاص الإنسان يقوم أساساً على الفداء,إذن الخلاص ليس مجرد فلسفة، بل هو حقيقة لا محيض عنها لرفع الخطية وكل نظرية لا تقوم على تصحيح هذا الوضع, تعتبر نظرية باطلة وغير سليمة,

القسم الثاني

4 - لماذا كان عيسى مسؤولاً عن خطية آدم حسب زعمكم، ومطالباً بالتكفير عنها؟

من المسلم به أن أحداً لا يستطيع خدمة الحقيقة إلا إذا سمى الأشياء بأسمائها الحقيقية, وعلى هذا الأساس أراني ملزماً بأن أذكرك بأن اسم المسيح هو يسوع وليس عيسى هكذا قال ملاك الرب جبرائيل لأمه مريم العذراء وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هذا يَكُونُ عَظِيماً، وابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى - لوقا 1: 13-23 .

يعلم الكتاب العزيز أن الله خلق الإنسان على صورته في البر وقداسة الحق, وعاهده عهد الحياة على شرط الطاعة الكاملة لوصاياه, وهاك النص كما ورد في سفر التكوين فَخَلَقَ اللّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللّهِ خَلَقَهُ. ذَكَراً وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. وَبَارَكَهُمُ,,, éوَأَخَذَ الرَّبُّ الْإِلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا. وَأَوْصَى الرَّبُّ الْإِلهُ آدَمَ قَائِلاً: مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلْ مِنْهَا، لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتاً تَمُوتُ - تكوين 1: 27-28، 2: 15-17 .

وعاش آدم ردحاً من الزمن في فردوس الله في حالة من الطهر, متمتعاً بشركة روحية مع الرب الإله, وهذه الشركة الروحية كانت ملأت قلب آدم وفكره بالسعادة,

كان آدم بسيطاً وفي البساطة قرب من قلب الله, وكان وديعاً وفي الوداعة مسحة من روح الله وكان مؤمناً والإيمان هو اليد التي تتناول بركات الله وكان باراً, وفي البر قبس من نور الله, ومع ذلك فقد سمح الله بأن يمتحن آدم, وكان موضوع الامتحان، هل يحتفظ آدم بمكانه من الطاعة والولاء لله؟ كان هناك وصية والوصية حداً بين ما يحق لآدم وبين ما يمنعه عليه, وبكلمة أخرى كان قصد الله من السماح بامتحانه أن يتعلم أبو البشر بأن هناك فاصلاً بين الحلال والحرام وأنه لإثم أن يتعدى هذا الفاصل وقد جعل كل هذا بأسلوب رمزي ميسور في ثمر الشجرة الممتنعة على آدم,

وسهولة الامتحان ظهرت في التجربة التي جاءت من الشيطان فهذا الغاوي تقدم من حواء في ناصح تهمه مصلحة الأبوين الأولين, وقد بادر حوار بسؤال بسيط في ظاهره، ولكنه مبطن بالخداع,

أَحَقّاً قَالَ اللّهُ لَا تَأْكُلَا مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟ - تكوين 3: 1 .

وكأن الماكر يقول هل من المعقول أن الله الذي خصكما بكل هذا الحب, وأحاطكما بكل هذه العناية، ووفر لكما كل هذه السعادة يمنعكما من أن تأكلا من كل أشجار الجنة الموهوبة لكما,,

أخذت حواء بالكلام الماكر، الذي صاغ به الشيطان سؤاله, فغشيها شيء من الشك في صلاح وصية الله وفي ظل الشك أجابت:

مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللّهُ: لَا تَأْكُلا مِنْهُ وَلَا تَمَسَّاهُ لِئَلَّا تَمُوتَا - تكوين 3: 2-3 .

لاحظ كيف أن حواء لما اعتراها الشك، زورت كلام الله بأن زادت عليه كلمة لا تمساه وهذه الزيادة أوقعتها في مخالفة فظيعة، وهي تقويل الله ما لم يقله, ولكي يزيدها الشرير شكاً في صلاح الله وحق وصيته أردف قائلاً:

لَنْ تَمُوتَا! بَلِ اللّهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلَانِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللّهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ - تكوين 3: 4 و5 .

كان لكلام الغاوي لون المنطق المقنع بأن الله لأجل منعها ورجلها من مساواته في المعرفة، قيدهما بتحذير يبدو أنه غير صادق, فاجتاح الشك قلب حواء, ولم تلبث أن استجابت لغواية عدو الخير وللمرة الأولى رأت حواء أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلْأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضاً مَعَهَا فَأَكَلَ - تكوين 3: 6 .

وهكذا سقط الأبوان الأولان, سقطت المرأة لأنها سكت في أمانة الله وصلاح وصيته، ولأنها أرادت أن تماثل الله بالمعرفة, ولم تكتف بكسر الوصية الإلهية، بل أشركت رجلها معها، فنقض عهده مع الله، وتعدى حدوده، والخطية هي التعدي - 1 يوحنا 3: 4 - ولما كانت أجرة الخطية هي موت - رومية 6: 33 - وقع المخالفان تحت قصاص الله، وفقاً لإنذاره تعالى يوم تأكل منها موتاً تموت - تكوين 2: 17 - ومعنى الموت هنا ليس انحلال الجسد في القبر، بل هو موت النفس بخلودها في العذاب الأبدي,

سقط آدم فوقع تحت طائلة الدينونة، فقال الله له مَلْعُونَةٌ الْأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَشَوْكاً وَحَسَكاً تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزاً حَتَّى تَعُودَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لِأَنَّكَ تُرَابٌ وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ - تكوين 3: 17-19 .

بعد هذا طرده الرب الإله من جنة عدن مع امرأته، فهاما على وجههما يضربان في الأرض بأتعاب وآلام ثم أنجبا نسلاً وكان نسلهما بالطبع مطروداً فاقداً ميراثه بالفردوس وبديهي أن يأتي نسلهما ضعيفاً رازحاً تحت ثقل العصيان الموروث, على أرض لعنت بسبب الإنسان,

في الواقع أن الأبوين الأولين لم يصبحا بعد سقوطهما خاطئين وحسب، بل مورثين للخطية أيضاً، كما هو مكتوب بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ - رومية 5: 12 . وإنه لمن العبث أن يُقال إن خطية آدم لم تنحدر إلينا, وأن كل إنسان يولد بقدرة كاملة على اختيار الخير والشر, إذ لا أثر لخطية أبوية فيه, وأنا لا أدري كيف جاز لأصحاب هذا الراي أن يجزموا بهذا الأمر هكذا بينما حقيقة كتاب الله تناقضهم، وتسد عليهم الطريق وعملياً ألم يكن آدم نائباً عن الجنس البشري حين تعاهد مع الله عهد الحياة؟ بلى, لأن كل الوعود التي أعطاها الله له, كانت له ولنسله وعندما لفظ الحكم عليه، لعنت الأرض لهم كما لعنت له وكتب لهم أن يأكلوا خبزهم بعرق وجههم كما كتب له وتسلط الموت عليهم, كما تسلط عليه, وأيضاً أوجاع الولادة التي كتبت على حواء قصاصاً ما زالت تعانيها كل بنت من بناتها وقد أدرك الفيلسوف الكبير أبو العلاء المعري هذه الحقائق فقال:

هذا جناه أبي عليّ ---- وما جنيت على أحد

وكيف يجوز أن نسلم بآثار الوراثة العميقة في الحياة, في شتى وجوهها، ولا نسلم بالميراث الآتي إلى الإنسان من خطية أبويه الأولين؟ إن اختبارات البشر في كل جيل وعصر لتصرح في فزع مستمر مع داود النبي: هَئَنَذَا بِالْإِثْمِ صُوِّرْتُ وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي - مزمور 51: 5 .

قال العالم الانكليزي الشهير هاكسلي: لا أعلم أن هناك دراسة انتهت إلى نتيجة تعسة للنفس كدراسة تطور الإنسانية فمن وراء ظلام التاريخ تبين أن الإنسان خاضع لوضع فيه يسيطر عليه بقوة هائلة إنه فريسة واهنة عمياء لدوافع تقوده إلى الخراب، وضحية الأوهام لا نهائية, جعلت كيانه العقلي هما ثقيلاً، وأفنت جسده بالغموم والمتاعب ومنذ آلاف السنين لا يزال هو هو, يقاتل ويضطهد ويعود ليبكي ضحاياه, ويبني قبورهم وهل يحتاج أحد إلى هذه الشهادات الصارخة الآتية عبر التاريخ لكي يلمس هذه الحقيقة؟ ألا يكفي أن ينظر الإنسان إلى أعماق نفسه, ويتحسس ميوله ونزواته ليعلم أن ناموس الخطية ساكن فيه,

يكفي أن نلقي نظرة على المجتمع البشري، لنلمس هذه الحقيقة عند كل إنسان وهي أن الجميع فَسَدُوا وَرَجِسُوا بِأَفْعَالِهِمْ. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحاً - مزمور 14: 1 - وقد وصفهم إشعياء النبي بالقول: أَعْمَالُهُمْ أَعْمَالُ إِثْمٍ، وَفِعْلُ الظُّلْمِ فِي أَيْدِيهِمْ. أَرْجُلُهُمْ إِلَى الشَّرِّ تَجْرِي وَتُسْرِعُ إِلَى سَفْكِ الدَّمِ الزَّكِيِّ. أَفْكَارُهُمْ أَفْكَارُ إِثْمٍ. فِي طُرُقِهِمِ اغْتِصَابٌ وَسَحْقٌ. طَرِيقُ السَّلاَمِ لَمْ يَعْرِفُوهُ، وَلَيْسَ فِي مَسَالِكِهِمْ عَدْلٌ - إشعياء 59: 6-8 - ووصف إرميا النبي القلب البشري بأنه اَلْقَلْبُ أَخْدَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ - إرميا 17: 9 .

في الواقع أن وجود الخطية في حياة كل إنسان أمر لا يجهله أحد لأن فساد الطبيعة البشرية, ظاهر للحس في عجز الإنسان عن حفظ الناموس الأدبي من تلقاء نفسه، حتى بتوبته الذاتية, فهذه عرضة للفشل, إن كانت لا تلقى معرفة الروح القدس، مما يؤكد خلو النفس البشرية من البر الأصلي الذي كان لآدم قبل السقوط,

يكفي أن نلقي نظرة عابرة على تاريخ الجريمة عبر الأجيال لكي نجد الدليل الحاسم على فقدان الإنسان طبيعة الصلاح وأخذه طبيعة الفساد وأول ما ظهرت طبيعة الفساد الموروثة كان في جريمة القتل الأولى, التي اقترفها قايين بن آدم بحق أخيه هابيل, ولماذا قتله؟ أليس لأنه كان شريراً؟ ولماذا يخاصم أحدنا الآخر، أليس لأن طبيعة الشر متأصلة فينا؟ ولماذا تحارب أمة أمة أخرى، أليس بفعل شر الأفراد حينما يتكتلون؟

أجرة الخطية:

جاء في الكلمة الرسولية أن أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ - رومية 6: 23 . وجاء في الكلمة النبوية أن اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ - حزقيال 18: 20 .

فآدم وحواء حين سقطا ماتا الموت الروحي، الذي هو الانفصال عن حياة الله, قال العالم كلونيوس: أن نوع الموت المشار إليه هنا يعرف من نقيضه، أي نوع الحياة التي سقط منها, والواقع أن آدم وحواء, انفصلا عن الله بنتيجة سقوطهما وفقدا الشركة الروحية الجميلة الحلوة المقدسة مع خالقهما المحب, وكذلك في الانفصال عن حياة الله، فقدا ذلك الشوق المقدس للمثول في حضرة الله عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَار، فَا خْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الْإِلِ هِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ - تكوين 3: 8 - اختبئا لأن أول عواقب السقوط الخجل، وهما قبل كل شيء اجتهدا لستر جسديهما وأن ثانيهما الخوف، وهما هربا واختبئا, هكذا نقرأ في الكتاب العزيز آثَامُكُمْ صَارَتْ فَاصِلَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلهِكُمْ، وَخَطَايَاكُمْ سَتَرَتْ وَجْهَهُ عَنْكُمْ - إشعياء 59: 2 .

رهيب هو هذا الحكم لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت ولكن هل ضاع الامل، هل مات الرجاء بعودة الإنسان إلى فردوسه الضائع، وبرجوع طهارته المفقودة؟ كلا إن الرجاء لم يمت، لأن الله محب كما هو عادل، وبالحب وهب للأبوين الأولين الشفاء وبعث في قلبهما الرجاء,بينما هما مختبئان نادى الرب الإله آدم، وقال له اين أنت - تكوين 3: 9 . الاستفهام هنا للتوبيخ فكأنه تعالى قال يا آدم لماذا هربت مني، بعد أن كنت تسرع إليّ مسروراً بلقائي؟

فأين كنت وإلى أين صرت؟ نعم, هكذا فتشت محبة الله الغنية بالرحمة عن الإنسان، الذي خلقه الله على صورته كشبهه، ودبرت أمر خلاصه فكانت فكرة الفداء,

محبة الله تتدخل:

لما كان الله فائق الكمال في كل صفاته، ومن كمالاته الفائقة العدل والصدق, وبما أن عدله وصدقه لا ينكفئان, حكم على تعدي الإنسان بالموت الأدي قصاصاً, ولكن كما أن لله عدلاً وصدقاً لا ينكفئان, له أيضاً محبة لا تنكفئ محبة عجيبة، لا تعرف الحدود في الغفران وهذه المحبة العجيبة شملت الإنسان بغناها في الرحمة، وفقاً لقوله له المجد مَحَبَّةً أَبَدِيَّةً أَحْبَبْتُكِ، مِنْ أَجْلِ ذ لِكَ أَدَمْتُ لَكِ الرَّحْمَةَ - إرميا 31: 3 . هذه المحبة

المتفاضلة جداً، دبرت خلاص الإنسان الضعيف بالفداء ليحيا وفقاً لقوله له المجد حَيٌّ أَنَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنِّي لَا أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ، بَلْ بِأَنْ يَرْجِعَ الشِّرِّيرُ عَنْ طَرِيقِهِ وَيَحْيَا - حزقيال 33: 11 .

وبكلمة أخرى أن الكتاب المقدس يعلم بأن الله عادل وفضله الأدبي يحمله على معاقبة كل خطية فإيفاء المسيح الذي يحصل المغفرة للخطيئة قدم للعدل الإلهي الترضية وغايته الأصلية الجوهرية، ليس التأثير الأدبي في المذنبين أنفسهم, ولا العمل التعليمي في غيرهم من الخلائق العاقلة بلا الإيفاء لما يطلبه العدل, حتى يكون الله عادلاً إذا برّر الخاطئ,

قال المحامي الشهير سيرجنت برنتس في ختام دفاعه عن أحد المتهمين قرأت في كتاب ما أن الله في مشورته الأزلية سأل العدالة والحق هل أخلق الإنسان؟ فأجابت العدالة كلا، لأنه سيدوس جميع شرائعك وسننك ونظمك وقال الحق لا تخلقه لأنه سيكون قبيحاً وسيسعى دائماً وراء الباطل متكلماً بالكذب حينئذ قالت المحبة أنا أعلم أن هذا سيكون ولكني مع شر الإنسان وفساده, سأتولى أمره وسأسير به خلال الطرق المظلمة إلى أن آتي به إليك,

أجل يا صديقي أن الله في البدء خلق الإنسان على أحسن تقويم ولكن الإنسان لم يثبت في كماله، بل سقط واندفع وراء الباطل ولكن محبة الله تأنت عليه، ولم تشأ أن يهلك, فدبرت له خلاصاً كاملاً شاملاً أبدياً بيسوع المسيح وقد دعانا سؤالك إلى التأمل في هذا الخلاص الكامل الشامل الأبدي، لنرى حاجة الإنسان إليه بل لنرى ضرورته وحتميته عند الله, ونعرف السبيل إليه، وما هي آثاره في حياة الإنسان الحاضرة والأبدية, لعلنا ندرك نظرة المسيحية الكاملة للفداء,

حين نتلو رواية التكوين التي أوحي بها إلى رجل الله موسى، ونتأمل في ما صنعه الله لستر عري آدم وحواء نلمس الحقيقة بقول الكتاب العزيز وَصَنَعَ الرَّبُّ الْإِلهُ لِآدَمَ وامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا - تكوين 3: 21 . هذا يدل على أن الحيوانات ذبحت في الفردوس ولم يتحقق نصاً أن الإنسان كان يتخذ لحوم البهائم طعاماً, إلا بعد الطوفان ولم يكن طعامه قبلاً سوى البقول والأثمار وسائر الأطعمة النباتية, ولم يكن بكر من ذبيحة، قبل أن تدخل الخطية الأرض فإن كانت تلك الجلود من جلود البهائم، ثبت أن الله علم آدم على أثر سقوطه في الخطية أن لا مغفرة بدون سفك دم وبهذا رسم عهد الذبائح الكفارية، التي مورست في ما بعد في العهد القديم، وكانت رمزاً إلى حمل الله يسوع, الذي بذبيحة نفسه يرفع خطجية العالم,

وإننا لنعلم من الكتاب المقدس أن ذبيحة الدم التي قدمها هابيل، لم تكن إلى ظلاً للفداء العتيد، وعملاً يتفق مع فكر الله بل أنها من وحين وإلهامه - تكوين 4: 4 . وكذلك الكبش الذي أعطاه الله لإبراهيم ليفدي به ابنه اسحق، لم يكن إلا رمزاً للفداء العظيم الذي أعده الله منذ الأزل بذبيحة المسيح العتيدة - تكوين 22: 1-14 . وأيضاً خروف الفصح الذي أمر الله موسى وشعبه أن يقدموه في مصر، لم يكن إلا رمزاً بارزاً لفصح عهد النعمة الجديد، الذي فيه ذُبح يسوع المسيح - تكوين 12: 1-42 - بدليل قول رسول الأمم بولس لِأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضاً الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لِأَجْلِنَا - 1 كورنثوس 5: 7 .

وإذا راجعنا التاريخ نرى أن أتقياء العهد القديم، عاشوا آلاف السنين في ظل الناموس، الذي أعطي لموسى وهذا الناموس أتاح لهم التكفير عن خطاياهم، بواسطة قرابين من الذبائح الحيوانية وثمار الأرض, إلا أن أحكامه الصارمة كانت توقع العقوبات على كل متعد,

حين خرج نوح من الفلك، نهاه الله عن أكل الدم - تكوين 9: 4 - وسبب هذا النهي ظاهر من آية ناموس موسى، بها تتبين طريقة القرابين الدموية والقصد منها, وهي وَكُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمِنَ الْغُرَبَاءِ النَّازِلِينَ فِي وَسَطِكُمْ يَأْكُلُ دَماً، أَجْعَلُ وَجْهِي ضِدَّ النَّفْسِ الْآكِلَةِ الدَّمَ وَأَقْطَعُهَا مِنْ شَعْبِهَا، لِأَنَّ نَفْسَ الْجَسَدِ هِيَ فِي الدَّمِ، فَأَنَا أَعْطَيْتُكُمْ إِيَّاهُ عَلَى الْمَذْبَحِ لِلتَّكْفِيرِ عَنْ نُفُوسِكُمْ، لِأَنَّ الدَّمَ يُكَفِّرُ عَنِ النَّفْسِ - لاويين 17: 10-11 .

فقصد الكتاب المقدس من الذبيحة هو تقديم نفس لله عن نفس أخرى مدنسة بالخطايا، كتقديم حياة حيوان بريء عن حياة الإنسان المذنب الذي يقدمه, وهذا ظاهر من قول الله لأليفاز التيماني: قَدِ احْتَمَى غَضَبِي عَلَيْكَ وَعَلَى كِلَا صَاحِبَيْكَ، لِأَنَّكُمْ لَمْ تَقُولُوا فِيَّ الصَّوَابَ كَعَبْدِي أَيُّوبَ. وَالْآنَ فَخُذُوا لِأَنْفُسِكُمْ سَبْعَةَ ثِيرَانٍ وَسَبْعَةَ كِبَاشٍ وَاذْهَبُوا إِلَى عَبْدِي أَيُّوبَ وَأَصْعِدُوا مُحْرَقَةً لِأَجْلِ أَنْفُسِكُمْ، وَعَبْدِي أَيُّوبُ يُصَلِّي مِنْ أَجْلِكُمْ لِأَنِّي أَرْفَعُ وَجْهَهُ لِئَلَّا أَصْنَعَ مَعَكُمْ حَسَبَ حَمَاقَتِكُمْ - أيوب 42: 7-8 .

والذبائح التي يأمر بها ناموس موسى على أنواع مختلفة غير أنها كلها لا تخلو من التكفير بالدم، الذي هو المقصود من وضعها بدليل قول الرسول: وَكُلُّ شَيْءٍ تَقْرِيباً يَتَطَهَّرُ حَسَبَ النَّامُوسِ بِالدَّمِ، وَبِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لَا تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ - عبرانيين 9: 22 . وقد قال ذلك في شرح الرمز العملي في سفر الخروج حيث يقول: فَكَتَبَ مُوسَى جَمِيعَ أَقْوَالِ الرَّبِّ. وَبَكَّرَ فِي الصَّبَاحِ وَبَنَى مَذْبَحاً فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ، واثْنَيْ عَشَرَ عَمُوداً لِأَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ الِاثْنَيْ عَشَرَ. وَأَرْسَلَ فِتْيَانَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَذَبَحُوا ذَبَائِحَ سَلَامَةٍ لِلرَّبِّ مِنَ الثِّيرَانِ. فَأَخَذَ مُوسَى نِصْفَ الدَّمِ وَوَضَعَهُ فِي الطُّسُوسِ. وَنِصْفَ الدَّمِ رَشَّهُ عَلَى الْمَذْبَحِ. وَأَخَذَ كِتَابَ الْعَهْدِ وَقَرَأَ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ. فقالوا: كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ وَنَسْمَعُ لَهُ . وَأَخَذَ مُوسَى الدَّمَ وَرَشَّ عَلَى الشَّعْبِ وَقَالَ: هُوَذَا دَمُ الْعَهْدِ الَّذِي قطعهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ عَلَى جَمِيعِ هذهِ ا

لْأَقْوَالِ - خروج 24: 4-8 .

وحين نتأمل في تاريخ الذبيحة عبر كتاب الله، يتضح لنا أن كل الذبائح ترمز إلى المسيح ويلزم عن كون الكهنة الأولين رمزاً إلى ذبيحته عن خطايا العالم, بدليل قول الرسول لِأَنَّ كُلَّ رَئِيسِ كَهَنَةٍ يُقَامُ لِكَيْ يُقَدِّمَ قَرَابِينَ وَذَبَائِحَ. فَمِنْ ثَمَّ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ لِه ذَا أَيْضاً شَيْءٌ يُقَدِّمُهُ - عبرانيين 8: 3 . وقال أيضاً عن الكهنة اللاويين وَكُلُّ كَاهِنٍ يَقُومُ كُلَّ يَوْمٍ يَخْدِمُ وَيُقَدِّمُ مِرَاراً كَثِيرَةً تِلْكَ الذَّبَائِحَ عَيْنَهَا، الَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ الْبَتَّةَ أَنْ تَنْزِعَ الْخَطِيَّةَ - عبرانيين 10: 11 - أي أن تلك الذبائح، لا تستطيع ملاشاتها من العالم، وذلك لأن ذبائحهم كانت فقط رمزاً إلى الكفارة العتيدة بذبيحة المسيح فيجب إذ ذاك مداومتها إلى حين ظهور المرموز إليه المنتظر وأما ذبيحة المسيح، فلا يلزم أن تعاد, لأنها دمه، وبها نال لنا الفداء الأبدي بدليل قول الرسول: وَأَمَّا الْمَسِيحُ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ لِلْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ، فَبِالْمَسْكَنِ الْأَعْظَمِ والْأَكْمَلِ، غَيْرِ الْمَصْنُوعِ بِيَدٍ، أَيِ الَّذِي لَيْسَ مِنْ هذهِ الْخَلِيقَةِ.

وَلَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُولٍ، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الْأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيّاً. لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ دَمُ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ وَرَمَادُ عِجْلَةٍ مَرْشُوشٌ عَلَى الْمُنَجَّسِينَ يُقَدِّسُ إِلَى طَهَارَةِ الْجَسَدِ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لله بِلَا عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللّه الْحَيَّ! ۏلِأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ مَصْنُوعَةٍ بِيَدٍ أَشْبَاهِ الْحَقِيقِيَّةِ، بَلْ إِلى السَّمَاءِ عَيْنِهَا، لِيَظْهَرَ الْآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللّهِ لِأَجْلِنَا. وَلَا لِيُقَدِّمَ نَفْسَهُ مِرَاراً كَثِيرَةً، كَمَا يَدْخُلُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ إِلَى الْأَقْدَاسِ كُلَّ سَنَةٍ بِدَمِ آخَرَ. فَإِذْ ذَاكَ كَانَ يَجِبُ أَنْ يَتَأَلَّمَ مِرَاراً كَثِيرَةً مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، وَلَ كِنَّهُ الْآنَ قَدْ أُظْهِرَ مَرَّةً عِنْدَ انْقِضَاءِ الدُّهُورِ لِيُبْطِلَ الْخَطِيَّةَ بِذَبِيحَةِ نَفْسِهِ - عبرانيين 9: 11-14 و24-26 .

وهذه الحقيقة ظاهرة في الإنجيل فقد قال يوحنا المعمدان حين رأى يسوع: هُوَذَا حَمَلُ اللّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ - يوحنا 1: 29 . مشيراً بذلك إلى ذبيحة الكفارة التي بها يكفر المسيح عن خطايانا أمام الرب ويرفعها عنا هكذا قال الرسول يوحنا وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضاً - 1 يوحنا 2: 2 .

ولئلا يتوهم أحد أن يسوع مات موت شهيد، فقد دفع هو نفسه ذلك الوهم بقوله له المجد : أَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ - متى 20: 28 .

هذه الحقيقة أعلنها الله لإشعياء النبي فقال قبل تجسد المسيح بعدة قرون: وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلَامِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، والرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا. ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ، كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا - إشعياء 53: 5-7 .

وأقوال رسول الأمم بولس في هذا الصدد كثيرة لا يستطيع مجال هذه الرسالة لذكرها كلها, منها قوله:

الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا - أفسس 1: 7 - ومعنى هذا أنه ليس بتعاليمه وقدوته ننال الفداء والغفران بل بدمه,

اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجْلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ . لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلْأُمَمِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَنَالَ بالإِيمَانِ مَوْعِدَ الرُّوحِ - غلاطية 3: 13-14 . ومعنى هذا أن

المسيح بموته على خشبة الصليب اعتبر في نظر الناموس حاملاً اللعنة نيابة عن الإنسان الذي لم يثبت في ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به - غلاطية 3: 10 .

لِأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لِأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللّهِ فِيهِ - 2 كورنثوس 5: 21 .

ولا يمكن أن يعبر بعد بأفصح من هذه الآيات، التي تفيد أن المسيح خلصنا من عقاب الناموس باحتماله ذلك العقاب عندما علق على خشبة الصليب ومات عليها, وهذا الموت هو فدية عنا، وتكفير عن خطايانا، إذ به خلصنا من لعنة الناموس, فهذا هو المقصود من ذبيحة الكفارة,

ولكي يبين الرسول المغبوط بأكثر إيضاح أن فاعلية موت المسيح ليست مجرد فعله في قلوب البشر فعلاً أدبياً في إخضاعها له، وجعلها قلوباً لينة وطيعة، عوضاً عن قساوتها وتكبرها, قال: الَّذِي قَدَّمَهُ اللّهُ كَفَّارَةً بِالْإِيمَانِ بِدَمِهِ، لِإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللّهِ. لِإِظْهَارِ بِرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، لِيَكُونَ بَارّاً وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ بِيَسُوعَ - رومية 3: 25-26 .

فكل كلمة من هذه الآية، تستدعي إمعان النظر، إذ تعلمنا:

- 1 - إن الله قدم يسوع المسيح ذبيحة كفارة للجميع,

- 2 - إن هذه الكفارة، ينالها كل فرد من أفراد البشر بإيمانه الشخصي فقط, فهي تضع أساساً للجميع للتبرير, إذا آمنوا بالمسيح يسوع,

- 3 - إن الله يظهر بره بذبيحة الكفارة, فإظهار الرحمة للخطاة والبر المشار إليه هنا من الصفات الحُسنى الخاصة بالله، وليس هو بمعنى التبرير الذي يهبه الله للمؤمن، كما يظهر من القرينة، وهي لِيَكُونَ بَارّاً وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ بِيَسُوعَ فإن هذه العبارة تنفي احتمال ذلك المعنى وتثبت إرادة العدل بالبر للزومه عند اعتباره إله الناموس وديان العالم,

- 4 - إن ذبيحة الكفارة ضرورية لإظهار رحمة الله، مع عدم مخالفة مقتضيات عدله فلو أظهر الله رحمته للخطاة بلا ذبيحة الكفارة، لم يكن باراً، بدليل قول الرسول أن الله قدم يسوع كفارة ليكون باراً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع ولم تكن ضرورية لجعل الله رحيماً بتغيير كبيعته لأنه يتغير بل هو هو، أمس واليوم وإلى الأبد, وما استفدناه من شهادته تعالى، التي هي أساس الكتاب المقدس, هو أن المسيح قدم نفسه للآب، ليحمل لعنة الناموس الإلهي عن الخطاة وهو لابس طبيعة البشر, وأن الله قبل تقدمه حاسباً إياها كفوأً لعدله, فيغفر لجميع الذين يؤمنون بيسوع المسيح بدون أن يشين جلاله الأقدس أو يثلم ناموسه الأدبي بشيء,

أنواع الذبائح

إن التأمل في كفارة المسيح يستلزمنا استعراض أنواع الذبائح التي كانت تقدم في العهد القديم، وفقاً للناموس الإلهي الذي أعطي بموسى وهي:

- 1 - ذبيحة الخطية - لاويين 9 - وهي للتكفير عن الشعب والإتيان به إلى حالة الغفران ونوال النعمة,

- 2 - ذبيحة الإثم - لاويين 5 - وهي خاصة بالذنوب التي يمكن التعويض عنها,

- 3 - ذبيحة المحرقة - لاويين 1 - وهي ذبيحة تمثل الكمال وهي تشير إلى من خصص نفسه لله تخصيصاً كاملاً,

- 4 - ذبيحة السلامة - لاويين 7: 11-16 - وهي تشير إلى رد ما لله من شكر,

- 5 - ذبيحة الفصح - خروج 12 - وقد أمر الرب موسى وهرون والشعب أن يرشوا بدمها على عتبة الباب العليا والقائمتين,

- 6 - ذبيحة البقرة الحمراء - العدد 19 - وهي التي كان رمادها يستعمل للتطهير من النجاسات,

- 7 - ذبيحة الأبرص - لاويين 14 - وهي الذبيحة التي تتعلق بتطهير الأبرص,

- 8 - ذبيحة العجلة - تثنية 21: 3 - وهي التي كانت تقدم عندما يقتل قتيل ويجهل قاتله,

- 9 - ذبيحة كبش التكريس - لاويين 8 - وهي التي كانت تقدم عند تكريس أحد اللاويين كاهناً,

واعلم أن هذه الذبائح جميعها كانت مشروطة بخلوها من العيوب, بناء على أنه يحط من قدر الله في أعين الشعب - 1 ملوك 8: 13-14 - وبنوع خاص، لأن الذبيحة الخالية من العيب موافقة دون غيرها لأن تكون رمزاً إلى حمل الله يسوع الذي قدم على خشبة الصليب كفارة لخطايا العالم والذي هو بِلَا عَيْبٍ وَلَا دَنَسٍ - 1 بطرس 1: 19 .

رش دم الذبيحة

إن رش دم الذبيحة في العهد القديم، كان أشرف الطقوس، لكونه إشارة إلى التكفير واختص بالكاهن الذي عين وسيطاً بين الله والشعب أما نضح الدم سبع مرات بعد إدخاله إلى خيمة الاجتماع - لاويين 8 و14 - فكان إشارة إلى كمال التكفير لأن الرقم 7 يدل على الكمال، ومن ذلك قول العهد الجديد عن المؤمنين، أنهم تطهروا من الخطية بسفك دم المسيح العظيم المرموز إليه - عبرانيين 9، 1 بطرس 1 .

ذبيحة المسيح الحقيقية المرموز إليها:

لمس رجال الله قديماً الإنسان وعجز ناموس موسى عن شفائه من الخطيئة، ففتشوا عن وسيلة غير الذبائح والمحرقات التي قال الرسول أنها مِنْ جِهَةِ الضَّمِيرِ أَنْ تُكَمِّلَ الَّذِي يَخْدِمُ - عبرانيين 9: 9 - والتي لا يمكنها أن تحقق مسرة القدير، فقد جاء في سفر المزامير: لِأَنَّكَ لَا تُسَرُّ بِذَبِيحَةٍ وَإِلَّا فَكُنْتُ أُقَدِّمُهَا. بِمُحْرَقَةٍ لَا تَرْضَى - مزمور 51: 16 - وجاء في سفر إشعياء : لِمَاذَا لِي كَثْرَةُ ذَبَائِحِكُمْ؟ يَقُولُ الرَّبُّ اتَّخَمْتُ مِنْ مُحْرَقَاتِ كِبَاشٍ وَشَحْمِ مُسَمَّنَاتٍ، وَبِدَمِ عُجُولٍ وَخِرْفَانٍ وَتُيُوسٍ مَا أُسَرُّ. حِينَمَا تَأْتُونَ لِتَظْهَرُوا أَمَامِي، مَنْ طَلَبَ هَذَا مِنْ أَيْدِيكُمْ أَنْ تَدُوسُوا دِيَارِي؟ لَا تَعُودُوا تَأْتُونَ بِتَقْدِمَةٍ بَاطِلَةٍ. اَلْبَخُورُ هُوَ مَكْرُهَةٌ لِي - إشعياء 1: 11-13 .

ولكن في غمرة هذا الضلال، أشرقت شمس محبة الله, فأعلن لرجاله الامناء أنه أعد ذبيحة حاسمة للخلاص بوسيط صلح إلهي، يأتي عند ملء الزمان، ويكمل بقربان نفسه إلى الأبد الذين يؤمنون باسمه - عبرانيين 10: 14 - فإذا بأيوب الذي حلت به التجارب والمحن بأقسى ضروبها، يرى حاجته الماسة إلى تدخل هذا الوسيط بينه وبين الله, فيقول لَيْسَ بَيْنَنَا مُصَالِحٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى كِلَيْنَا! لِيَرْفَعْ عَنِّي عَصَاهُ وَلَا يَبْغَتْنِي رُعْبُهُ - أيوب 9: 33-34 - وها هو إشعياء النبي يراه بعين النبوة، فيسهب في شرح عمله الفدائي، إذ يقول: مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ. وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الْأَحْيَاءِ، أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟ وَجُعِلَ مَعَ الْأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْماً، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ. أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ. مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ، وَ

عَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ، وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا. لِذَلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الْأَعِزَّاءِ وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ، وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ - إشعياء 53: 8-12 .

وشاول الطرسوسي الفريسي الناموسي، بعد أن أعيته المحاولات لإدراك البر الذي في الناموس، راح يفتص عن هذا الوسيط، الذي تكلم عنه الأنبياء، وينشد عنده الإنقاذ من جسد الخطية والموت, إلى أن أدركه يسوع المسيح على طريق دمشق فعرف فيه وسيط الصلح الإلهي، الذي تجسد ليخلص الخطاة بموته الكفاري على الصليب, ولم يعتم أن أوحي إليه ليكتب لنا الخبر السار القائل: óوَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللَّهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ - غلاطية 4: 4-5 .

في الواقع إن تجسد الكلمة هو محور الكتابة المقدسة لأن أساس الفداء الإلهي، وهو شرط ضروري للمسيح لإتمام وظيفته كفادي, ولهذا كان التجسد موضوعاً لسلسلة من الإعلانات الإلهية عبر الأسفار المقدسة الموحى بها من الله وهذه الإعلانات بدأت بإشارات إلى منقذ يأتي عند ملء الزمان, ليخلص البشر من لعنة الناموس, ويكون بركة عظيمة لجميع الشعوب ثم أخذت الإعلانات توضح, أكثر فأكثر كل ما يختص به ابتدأت بذكر نسل المرأة، ثم ذكر نسل إبراهيم ثم سبط يهوذا، ثم بيت داود ثم ولادته من عذراء وجاء في الإعلانات، أنه يكون صاحب صفات إلهية, وأنه يفتدي لنفسه شعباً مختاراً، يكون هو رئيساً لهم وملكاً - إشعياء 9: 6 .

والعجيب في الأمر، هو أن الإعلانات ذكرت ظروفاً غريبة ودقيقة خاصة به، لا يمكن نسبتها لحذاقة البشر, منها تعيين مكان ولادته بالضبط, فقد جاء في سفر ميخا النبي أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمَ أَفْرَاتَةَ، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا،فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطاً عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ - ميخا 5: 2 . وأنه يكون فقيراً ذليلاً وممجداً معاً: وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى، وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ، وَيَحِلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ، رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ، رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ - إشعياء 11: 1-2 . وأنه ملك ولكن بدون مجد خارجي، إذ يدخل عاصمته المقدسة راكباً على جحش بدون أبهة الملوك فقد جاء في سفر زكريا النبي: اِبْتَهِجِي جِدّاً يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ، اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ، وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ - زكريا 9: 9 . وأنه يكون كاهن

ا, فقد جاء في سفر المزامير: أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ: أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ - مزمور 110: 4 . وهذا يعني أن عمل المسيح الكفاري هو عمل كهنوتي ترتبت عليه القضايا التالية:

- 1 - إن كونه كاهناً جعله نائباً عن الخطاة أقامه الله مقامهم، ليعمل عنهم ما لا يستطيعون أن يعملوه لأنفسهم فإذ لم يكن لهم وصول إلى الله بسبب إثمهم ونجاستهم, اقتضى الحب الإلهي إقامة شخص بسلطان إلهي, ليظهر عنهم أمام الله لأجل مصالحته تعالى معهم,

- 2 - إن هذه المصالحة لا تتم إلا بواسطة كفارة عن الخطية، لأنه مكتوب: بِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لاَ تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ! - عبرانيين 9: 22 .

- 3 - إن هذه الكفارة تتم بإقامة ذبيحة مقام الخاطي لتحتمل عنه الموت أجرة للخطية,

- 4 - إن الكهنة في العهد القديم خدموا على هذه الطريقة التي عينها الله، والتي بها كان المذنب ينال مغفرة خطاياه الطقسية,إلا أن الخطية كما تقدم لم تتلاش فرب مذنب يعود إلى الوقوع في الخطية ثانية بعد التكفير, ويكون عليه أن يقدم ذبيحة أخرى,

- 5 - فبناء عليه كان كهنوت العهد القديم، المسمى بالكهنوت الهاروني وذبائحه من الأمور الزمنية، فلم تكن إلا رموزاً وظلاً للكاهن الحقيقي والذبيحة الحقيقية الموعود بها منذ البدء,

- 6 - إن المسيح كاهن حقيقي, لأن فيه كل الصفات اللازمة للكهنوت, فلكونه اتخذ جسد الإنسان، صار نائباً عن الجنس البشري, وبالتالي قدم ذبيحة, وكان قادراً على أن يرثي لشعبه, وقد قام فعلاً بكل ما يستلزمه الكهنوت، وعلى مثال فائق,

- 7 - إن الذبيحة التي قدمها يسوع رئيس كهنتنا العظيم، لم تكن دم بهائم، بل دم نفسه الكريم,

- 8 - إنها الذبيحة الواحدة, التي أكملت إلى الأبد المقدسين - عبرانيين 10: 14 .

- 9 - إن ذبيحة المسيح أبطلت كل الذبائح في ما بعد فلم تبق حاجة إليها,

يتبين مما تقدم إن كفارة المسيح، ليست أمراً مزعوماً, كما طاب لك أن تقول، وإنما هي حقيقة أساسها المشورة الإلهية تجاوباً مع حب الله للإنسان, ولعلك بعد هذا الشرح المسهب تسأل: ولكن ماذا حمل المسيح على التجسد والقيام بعمل الفداء؟

الجواب: إن تجسد الأقنوم الثاني لله وموته لفداء الجنس البشري، لم يكن حادثة اضطرارية، وإنما هو اتساع اختياري، بدليل قول المسيح: لِهَ ذَا يُحِبُّنِي الآبُ، لِأَنِّي أَضَعُ نَفْسِي لِآخُذَهَا أَيْضاً. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضاً. هذهِ الْوَصِيَّةُ قَبِلْتُهَا مِنْ أَبِي - يوحنا 10: 17-18 . بمعنى أن المسيح لم يكن مجبراً على بذل نفسه، وإنما قدمها تطوعاً، لكي يرفع خطية العالم,

وفي كلمة أخرى، أن الله بدافع من حبه العجيب للبشر قضى بالفداء, فبذل ابنه الوحيد، الذي أتى إلى العالم فصارت الكلمة المكتوبة: فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الْأَوْلَادُ فِي اللَّحْمِ والدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولئِكَ الَّذِينَ خَوْفاً مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعاً كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ - عبرانيين 2: 14-15 .

ويعلمنا الكتاب المقدس، أن المسيح أخذ الجسد طوعاً ليكون وسيط صلح، بين الله والناس، بدليل قول الوحي: إِنَّ اللّه كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لهُمْ خَطَايَاهُمْ - 2 كورنثوس 5: 19 . ويخبرنا الكتاب العزيز صريحاً أن وسيط الصلح بين الله والناس، يجب أن يتميز بالصفات التالية,

- 1 - أن يكون إنساناً بدليل قول الكتاب: والْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا - يوحنا 1: 14 . وسبب اتخاذ الكلمة طبيعة البشر لا طبيعة الملائكة، هو أنه أتى لفدائنا فكان ضرورياً أن يولد تحت الناموس، الذي خالفناه، لكي يكمل كل بر وأن يشترك في حياتنا البشرية لكي يختبر ضعفاتنا, وأن يتألم ويموت ذبيحة لكي يكفر عن خطايانا,

- 2 - أن يكون بدون خطية، فإن الذبيحة التي كانت تقدم للتكفير، كان يجب حسب الناموس أن تكون بلا عيب فالوسيط الذي يقدم نفسه لفداء العالم، يجب أن يكون هو نفسه بلا خطية لأنه من المستحيل أن يكون المخلص من الخطية خاطئاً لأن الخاطي, لا يقدر أن يصل إلى الله، ولا يليق بأن يكون ذبيحة عن الخطايا، ولا مصدراً للقداسة والحياة الأبدية لشعبه, ولذلك وجب أن يكون رئيس كهنتنا الفادي العظيم قُدُّوساً بِلَا شَرٍّ وَلَا دَنَسٍ، قَدِ انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاةِ - عبرانيين 7: 26 - ومعلوم أن المسيح كان بلا خطية، كما تشهد بذلك الكلمة الرسولية فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ لِأَجْلِنَا، تَارِكاً لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِهِ. الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلَا وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ - 1 بطرس 2: 21-22 .

- 3 - إن يكون إلهاً، لأنه لا يقدر دم إنسان أن يبطل الخطية فالمسيح في حال كونه إلهاً أكمل بذبيحة نفسه المقدسين إلى الأبد - عبرانيين 9: 26 - وكذلك لا يستطيع إلا شخص إلهي أن يبيد سلطان إبليس وينقذ الذين قد سباهم ولا يستطيع إتمام العمل الفدائي العظيم, إلا من هو قادر على كل شيء, وله حكمة ومعرفة غير محدودتين، ليكون رئيس كهنة عظيم ودياناً للجميع, ولا يقدر أن يكون مصدر الحياة الروحية لجميع المقدسين, إلا من حل فيه كل ملء اللاهوت - كولوسي 2: 9 .

فجميع هذه الصفات التي قال الكتاب بضرورتها لتأهيل الوسيط للوساطة بين الله والناس, قد اجتمعت في يسوع المسيح, ونتج من ثبوت تلك الصفات, أن وساطة يسوع المسيح التي تشمل كل ما فعل وما زال يفعل لخلاص البشر, هي عمل شخصي إلهي فجميع أعمال المسيح وآلامه في إجراء وساطته، كانت أعمال وآلام شخص إلهي فالذي صلب هو رب المجد, وهذه الحقيقة تتضح في ما يلي:

- 1 - إن الكتاب المقدس ينسب كفاية عمله وسلطانه وصدق كلامه وحكمته وقيمة آلامه، إلى كونه اللّه ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ - 1 تيموثاوس 3: 16 .

- 2 - لأنه لو كان وسيطنا إنساناً فقط لعجز عن فداء الساقطين وعندئذ لا يبقى بعد للإنجيل مجد ولا قدرة ولا كفاية,

- 3 - إن فداء البشر الساقطين لا يقدر عليه إلا من هو إله وإنسان معاً، فوظيفة المسيح النبوية تستلزم أن يكون له جميع كنوز الحكمة والعلم, ووظيفته الكهنوتية تستلزم أن يكون له شرف ابن الله, ليجعل عمله نافعاً, ولا يقدر سوى شخص إلهي، أن يستعمل السطان الذي دفع إلى المسيح في السماء وعلى الأرض أن ينقذنا من عبودية الخطية وموت الخطية، أو يقيم الاموات، أو يهب الحياة الأبدية,والحق أننا نحتاج إلى مخلص قُدُّوسٌ بِلَا شَرٍّ وَلَا دَنَسٍ، قَدِ انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ - عبرانيين 7: 26 .

5 - أكان الأنبياء الذين سبقوا مجيء المسيح يؤمنون بألوهيته؟ - الجواب بنعم يحتاج إلى إثبات .

نعم، كان الأنبياء الذين سبقوا مجيء المسيح يؤمنون بألوهيته, وهذا ثابت في شهادتهم المدونة في أسفارهم الموحى بها من الله:

- 1 - داود

أ - المزمور الثاني إذ يقول للملوك وقضاة الأرض: فَا لْآنَ يَا أَيُّهَا الْمُلُوكُ تَعَقَّلُوا. تَأَدَّبُوا يَا قُضَاةَ الْأَرْضِ. اعْبُدُوا الرَّبَّ بِخَوْفٍ واهْتِفوا برَعْدَةٍ. قَبِّلُوا الِابْنَ لِئَلَّا يَغْضَبَ فَتَبِيدُوا مِنَ الطَّرِيقِ. لِأَنَّهُ عَنْ قَلِيلٍ يَتَّقِدُ غَضَبُهُ. طُوبَى لِجَمِيعِ الْمُتَّكِلِينَ عَلَيْهِ - مزمور 2: 10-12 . فداود هنا لم يوص بالتعبد له فقط, بل أيضاً طوب جميع المتكلين عليه، علماً بأن الكتاب المقدس صرح باللعنة على كل من يتكل على الإنسان,

ب - المزمور 110، إذ يقول: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ - مزمور 110: 1 . وقد استشهد المسيح نفسه بهذه العبارات في حواره مع رجال الدين اليهود، إذ سألهم قائلاً: مَاذَا تَظُنُّونَ فِي الْمَسِيحِ؟ ابْنُ مَنْ هُوَ؟ قَالُوا لَهُ: ابْنُ دَاوُدَ . قَالَ لَهُمْ: فَكَيْفَ يَدْعُوهُ دَاوُدُ بِالرُّوحِ رَبّاً قَائِلاً: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ؟ فَإِنْ كَانَ دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبّاً، فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ؟ - متى 22: 43-45 .

- 2 - إشعياء

أ - إذ يقول فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ غُصْنُ الرَّبِّ بَهَاءً وَمَجْداً ف - إشعياء 4: 2 . والغصن في لغة الكتاب المقدس يشير إلى المسيح, وقد كان عند الأنبياء اصطلاح على تلقيب المسيح بالغصن, بدليل قول إرميا النبي: هَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ وَأُقِيمُ لِدَاوُدَ غُصْنَ بِرٍّ، فَيَمْلِكُ مَلِكٌ وَيَنْجَحُ، وَيُجْرِي حَقّاً وَعَدْلاً فِي الْأَرْضِ - إرميا 23: 5 . وقول زكريا النبي: هُوَذَا الرَّجُلُ الْغُصْنُ اسْمُهُ. وَمِنْ مَكَانِهِ يَنْبُتُ وَيَبْنِي هَيْكَلَ الرَّبِّ - زكريا 6: 12 .

ب - إذ يقول: فِي سَنَةِ وَفَاةِ عُزِّيَّا الْمَلِكِ رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِساً عَلَى كُرْسِيٍّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ. السَّرَافِيمُ وَاقِفُونَ فَوْقَهُ، لِكُلِّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ. با ثْنَيْنِ يُغَطِّي وَجْهَهُ، وَباثْنَيْنِ يُغَطِّي رِجْلَيْهِ، وَبَاثْنَيْنِ يَطِيرُ. وَهَذَا نَادَى ذَاكَ: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الْأَرْضِ - إشعياء 6: 1-3 . وكلام النبي هنا كان عن يسوع المسيح بدليل قول الإنجيل: قَالَ إِشَعْيَاءُ هذا حِينَ رَأَى مَجْدَهُ وَتَكَلَّمَ عَنْهُ - يوحنا 12: 41 .

ج - لِأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْناً، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً، مُشِيراً، إِلَهاً قَدِيراً، أَباً أَبَدِيّاً، رَئِيسَ السَّلَامِ - إشعياء 9: 6 .

- 3 - إرميا

إذ يقول: هَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ وَأُقِيمُ لِدَاوُدَ غُصْنَ بِرٍّ، فَيَمْلِكُ مَلِكٌ وَيَنْجَحُ، وَيُجْرِي حَقّاً وَعَدْلاً فِي الْأَرْضِ.,, وَه ذَا هُوَ اسْمُهُ الَّذِي يَدْعُونَهُ بِهِ: الرَّبُّ بِرُّنَا - وفي العبرية يهوه برنا - - إرميا 23: 5-6 .

- 4 - دانيال

أ - إذ يقول: كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الْأَيَّامِ، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَاناً وَمَجْداً وَمَلَكُوتاً لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ وَالْأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لَا يَنْقَرِضُ - دانيال 7: 13-14 .

ب - إذ يقول: سَبْعُونَ أُسْبُوعاً قُضِيَتْ عَلَى شَعْبِكَ وَعَلَى مَدِينَتِكَ الْمُقَدَّسَةِ لِتَكْمِيلِ الْمَعْصِيَةِ وَتَتْمِيمِ الْخَطَايَا، وَلِكَفَّارَةِ الْإِثْمِ، وَلِيُؤْتَى بالبِرِّ الْأَبَدِيِّ، وَلِخَتْمِ الرُّؤْيَا وَالنُّبُوَّةِ، وَلِمَسْحِ قُدُّوسِ الْقُدُّوسِينَ. فَا عْلَمْ وَافْهَمْ أَنَّهُ مِنْ خُرُوجِ الْأَمْرِ لِتَجْدِيدِ أُورُشَلِيمَ وَبَنَائِهَا إِلَى الْمَسِيحِ الرَّئِيسِ سَبْعَةُ أَسَابِيعَ وَاثْنَانِ وَسِتُّونَ أُسْبُوعاً، يَعُودُ وَيُبْنَى سُوقٌ وَخَلِيجٌ فِي ضِيقِ الْأَزْمِنَةِ. وَبَعْدَ اثْنَيْنِ وَسِتِّينَ أُسْبُوعاً يُقْطَعُ الْمَسِيحُ وَلَيْسَ لَهُ، وَشَعْبُ رَئِيسٍ آتٍ يُخْرِبُ الْمَدِينَةَ وَالْقُدْسَ، وَانْتِهَاؤُهُ بِغَمَارَةٍ، وَإِلَى النِّهَايَةِ حَرْبٌ وَخِرَبٌ قُضِيَ بِهَا. وَيُثَبِّتُ عَهْداً مَعَ كَثِيرِينَ فِي أُسْبُوعٍ وَاحِدٍ، وَفِي وَسَطِ الْأُسْبُوعِ يُبَطِّلُ الذَّبِيحَةَ وَالتَّقْدِمَةَ - دانيال 9: 24-27 .

هذه نبوات عن مجيء المسيح والأعمال الإلهية التي يقوم بها ففي شهادة دانيال الأولى سماه باسم ابن الإنسان وفي الثانية سماه قدوس القدوسين، وهما من ألقاب المسيح التي أطلقها على نفسه - متى 20: 28 ورؤيا 3: 7 .

- 5 - ميخا

إذ يقول: أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمَ أَفْرَاتَة، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا، فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطاً عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ مُنْذُ أَيَّامِ الْأَزَلِ - ميخا 5: 2 .

فهنا نبوة عن تجسد الرب يسوع وولادته في بيت لحم وشهادة بأزليته, ومخارجه تعني ظهورات الأقنوم الثاني منذ القديم كظهوره في ملاك العهد لإبراهيم - تكوين 18 - ولموسى - خروج 3 - وليشوع - يشوع 12 - ولجدعون - قضاة 6 - ولمنوح - قضاة 13 - فالمسيح أزلي بأزلية الله - انظر يوحنا 1: 1-2 .

- 6 - ملاخي

إذ يقول: هَئَنَذَا أُرْسِلُ مَلَاكِي فَيُهَيِّئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي. وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ وَمَلَاكُ الْعَهْدِ الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ. هُوَذَا يَأْتِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. وَمَنْ يَحْتَمِلُ يَوْمَ مَجِيئِهِ، وَمَنْ يَثْبُتُ عِنْدَ ظُهُورِهِ؟ - ملاخي 3: 1-2 .

هذه الآيات المجيدة نبوءة بمجيء يوحنا المعمدان سابق المسيح، ليهيء الطريق قدامه, وهو الذي كرز وقال للشعب، توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات, وملاك العهد هو الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس وقد سمى بملاك العهد, لان المواعيد الإلهية للشعب قد تمت فيه, وهو وسيط العهد الجديد أيضاً - عبرانيين 9: 15 .

يتبين مما تقدم أن أنبياء العهد القديم كانوا يؤمنون بلاهوت المسيح، وأن أسفارهم تصرح بمجيء شخص إلهي، لابساً طبيعة البشر، ليخلص العالم, وأن ذلك الشخص يكون من نسل المرأة، ومن ذرية إبراهيم، ومن سبط يهوذا، ومن بيت داود, مولوداً من عذراء, وأنه يجعل نفسه تقدمة ليرفع خطية العالم ولنا دليل قاطع على أن ملاك العهد هو الأقنوم الثاني لله، وقد لقب في العهد القديم بملاك يهوه، وإلوهيم، والله، هو المسيح المذكور في العهد الجديد، والذي أتى بعد يوحنا المعمدان, وقد تنبأ عنه إشعياء النبي قائلاً: صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. قَوِّمُوا فِي الْقَفْرِ سَبِيلاً لِإِلَهِنَا.,, فَيُعْلَنُ مَجْدُ الرَّبِّ وَيَرَاهُ كُلُّ بَشَرٍ جَمِيعاً، لِأَنَّ فَمَ الرَّبِّ تَكَلَّمَ - إشعياء 40: 3-5 .

وإذا نظرنا إلى العهد الجديد، نرى أن الذي يعد الطريق هو يوحنا المعمدان، وأن الآتي الذي عبر عنه إشعياء بلفظة إلهنا هو المسيح, وأن السيد الرب الذي يأتي إلى هيكله هو المسيح - متى 11: 10، مرقس 1: 2، لوقا 1: 76 و7: 27 .

6 - أما كان الله قادراً على خلاص آدم وذريته بغير صلب المسيح؟

هذا السؤال يعود بنا إلى موضوع الكفارة, لأن لا خلاص بدون كفارة عن الخطايا السالفة, والمعلوم أن كلمة كفارة، تعني الستر أو التغطية، وهي في المسيحية عمل المسيح بطاعته الكاملة، لأجل خلاص البشر من لعنة الناموس ومصالحتهم مع الله بدمه، الذي أريق على الصليب,

ويصح أن ننظر إلى كفاءة المسيح من أوجه متعددة, باعتبار نسبتها إلى الله من جهة محبته وقداسته وعدله, وباعتبار نسبتها إلى الإنسان من جهة فعلها فيه ولأجله, لذلك قيل أن كفارة المسيح تكفير عن خطية الإنسان، وأنها تعبير واضح عن فعل ذبيحة المسيح في خلاص الخطاة من لعنة الناموس ورفع الدينونة عنهم, وقيل أيضاً أن كفارة المسيح ترضية لله وإيفاء لعدله, أي واسطة لإرضائه واستعطافه, وهذا تعبير عن مفعول ذبيحة المسيح في إزالة غضب الله، وعن رضاه بقبول الخاطي للمصالحة, وقيل أن الكفارة هي ستر النفس المذنبة بدم المسيح حتى لا يطالب المذنب بالقصاص, لان القصاص رفع عنه بوضعه على المسيح، الذي ذُبح لاجلنا, وهذا ما أشار إليه الرسول يوحنا بقوله: فِي هذا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللّه، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا - 1 يوحنا 4: 10 - وقيل أن الكفارة فتحت باب المصالحة بين الله

والإنسان, بدون إهانة ناموس الله المقدس, وهذا ما عناه بولس بقوله: إِنَّ اللّهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَوَاضِعاً فِينَا كَلِمَةَ الْمُصَالَحَةِ - 2 كورنثوس 5: 19 .

ويعبر عن فداء يسوع في لغة الكتاب المقدس بكلمة نعمة لأن الآب السماوي لم يكن مضطراً، لأن يقدم ذبيحة عن البشر الخطاة, وكذلك الابن لم يكن مجبراً لأن يتجسد ويأخذ الفداء على عاتقه, وإنما اللاهوت الكامل, لأجل محبته الكثيرة وغناه في الرحمة، أوقف عقاب الناموس، وقبل الآلام النيابية، التي تجرعها الابن المتجسد باختياره، عوضاً عن الخاطئ,

وقد أعلن الرب يسوع هذه الحقيقة، حين قال: وَأَنَا أَضَعُ نَفْسِي عَنِ الْخِرَافِ,,, لَيْسَ لِأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هذا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ - يوحنا 1: 10 و15: 13 . فبهذه العبارات عبر له المجد عن السبب الذي لأجله ارتضى وهو القدوس الحق، أن يأخذ جسداً، ويتألم ويحمل خطايانا في جسده على الصليب,

وقد أوضح الرسول بولس لزوم الآلام النيابية في رسالته إلى الرومانيين إذ قال: لِأَنَّهُ مَا كَانَ النَّامُوسُ عَاجِزاً عَنْهُ، فِي مَا كَانَ ضَعِيفاً بِالْجَسَدِ، فَاللّهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ، وَلِأَجْلِ الْخَطِيَّةِ، دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ، لِكَيْ يَتِمَّ حُكْمُ النَّامُوسِ فِينَا، نَحْنُ السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ - رومية 8: 3-4 . أي أن الموت الأبدي، الذي كان سيقع علينا ونفذ فينا أجرة للخطية، أخذه يسوع عنا بالنيابة، وفقاً للقول النبوي تَأْدِيبُ سَلَامِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا - إشعياء 53: 5 .

نسمع كثيرين يقولون أن الله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء, ولكن هذا لا يتفق مع صدق الله في وعيده وعدله في أحكامه التي تحتم ذبيحة كفارة للغفران, وقد عرف هذا الوجوب منذ البدء, إذ يتراءى لنا خيط قرمزي يخترق صفحات الكتاب المقدس، وهو يقطر دماً ويصرخ في كل جيل قائلاً بدون سفك دم لا تحصل مغفرة ,

في الحقيقة أن الله لكونه كاملاً في كل صفاته، لا يصح لمشيئته أن تغفر للإنسان ذنوبه على حساب حقه وعدله، الذي قال: اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ - حزقيال 18: 20 . وإذا غفر الله لنفس خاطئة، وجب أن يكون هناك سبب للغفران، سبب يكون فيه ترضية لكمال الله في العدل, وهذه الترضية كما تقدم كانت تتم في العهد القديم بالذبائح الدموية, التي ترمز إلى المسيح أما في العهد الجديد فبذبيحة المسيح الذي أكمل كل بر,

ومن خصائص ذبيحة المسيح أنها ليست فقط ترفع الخطية عن الإنسان،بل هي أيضاً تشفيه من الخطيئة كمرض أدبي,

لأن من يقبل المسيح المصلوب تتجدد حياته، ويصير يرى فعل الخطيئة الرهيب وعقوبها المخيفة، فلا يقدم عليها ومن هنا انطلقت كلمة الرسول: كُلُّ مَنْ هُوَ مَوْلُودٌ مِنَ اللّهِ لَا يَفْعَلُ خَطِيَّةً، لِأَنَّ زَرْعَهُ يَثْبُتُ فِيهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْطِئَ لِأَنَّهُ مَوْلُودٌ مِنَ اللّهِ - 1 يوحنا 3: 9 -

القسم الثالث

7 - التوراة لا تثبت ألوهية المسيح فهل كان موسى عالماً بها وأخفاها عن قومه أم كان جاهلاً بها؟

لم يكن موسى جاهلاً وجود الأقانيم الثلاثة في وحدانية الله, ولم يخف ذلك، بل صرح به فيع دة أماكن من الأسفار الخمسة التي أوحي إليه بها والتي أطلق عليها اسم التوراة منها:

إن أول آية كتبها موسى في سجلات الوحي هي القول: فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللّهُ - إلوهيم - السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ - تكوين 1: 1 . وكلمة إلوهيم كما جاءت في لغة التوراة وردت في صيغة الجمع, مما يدل على أن وحدانية الله جامعة,

وكتب موسى أيضاً: إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ - تثنية 6: 4 . ولفظة إلهنا في هذه الآية وردت في صيغة الجميع، مع العلم أن القصد منها بيان الوحدانية,

ومما يلفت الانتباه في هذا المقام هو أن الله استعمل ضمير الجمع لنفسه في آيات عديدة دونها لنا موسى في أسفاره منها قوله تعالى:

نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا ـ تكوين 1: 26 . وليس المقصود بقوله عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا الصورة الجسديه بل الصورة العقلية الروحية,

هُوَذَا الْإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا ـ تكوين 3: 22 .

هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ ـ تكوين 11: 7 .

فهذه الآيات تدل على أن الله واحد في الذات مثلث الأقانيم, ولعله من الأفضل قبل أن ندرس هذه العقيدة، أو نبحثها البحث الكتابي المجرد، أن نلم في شيء من الإفصاح بتاريخها في كنيسة المسيح، والأفكار التي تناولتها، حتى انتهت إلى وضعها النهائي الدائم غير المتغير,

كان المسيحيون في أيام الرسل، وحتى هلة القرن الميلادي الثاني، لا يفكرون في وضع صيغ معينة للعقائد المسيحية، إذ كانوا يمارسون مبادئ هذه العقائد، كما جاءت في الكتاب المقدس دون أن يضعوا لها شكلاً معيناً وحين كانت تعترضهم صعوبة أو مشكلة كانوا يرجعون إلى الرسل أنفسهم أو إلى تلاميذهم من بعدهم, ولكن ما أن انتشرت المسيحية في رحاب الدنيا وقامت بعض البدع، حتى باتت الحاجة ماسة إلى أن تقول الكنيسة المسيحية كلمتها الفاصلة وخصوصاً عندما انتشرت ضلالات آريوس وسباليوس، المخالفة للعقائد المسيحية في ما يختص بلاهوت الابن والروح القدس فقام رجال أعلام في الكنيسة، وفندوا آراء المبتدعين ومن أبرز أولئك الرجال القديس أثناسيوس، الذي قاوم تلك البدع وأصدر القانون الاثناسي المعروف تاريخياً أما صورة هذا القانون فهي كما يلي:

ـ 1 ـ إن كل من ابتغى الخلاص وجب عليه قبل كل شيء أن يتمسك بالإيمان الجامع العام للكنيسة المسيحية,

ـ 2 ـ هذا الإيمان كل من لا يحفظه دون إفساد، يهلك هلاكاً أبدياً,

ـ 3 ـ إن هذا الإيمان الجامع هو أن نعبد إلهاً واحداً في ثالوث، وثالوثاً في توحيد,

ـ 4 ـ لا نمزج الأقانيم ولا نفصل الجوهر,

ـ 5 ـ إن للآب أقنوماً، وللابن أقنوماً، وللروح القدس أقنوماً,

ـ 6 ـ ولكن الآب والابن والروح القدس لاهوت واحد، ومجد متساو وجلال أبدي معاً,

ـ 7 ـ كما هو الآب، كذلك الابن، وكذلك الروح القدس,

ـ 8 ـ الآب عير مخلوق، والابن غير مخلوق، والروح القدس غير مخلوق,

ـ 9 ـ الآب غير محدود، والابن غير محدود، والروح القدس غير محدود,

ـ 10 ـ الآب سرمد، والابن سرمد، والروح القدس سرمد، ولكن ليسوا ثلاثة سرمديين، بل سرمد واحد,

ـ 11 ـ وكذلك ليسوا ثلاثة غير مخلوقين، ولا ثلاثة غير محدودين بل واحد غير مخلوق وواحد غير محدود,

ـ 12 ـ وكذلك الآب ضابط الكل, والابن ضابط الكل, والروح القدس ضابط الكل ولكن ليسوا ثلاثة ضابطي الكل, بل واحد ضابط الكل,

ـ 13 ـ وهكذا الآب إله, والابن إله, والروح القدس إله, ولكن ليسوا ثلاثة آلهة، بل إله واحد,

- 14 - وهكذا الآب رب, والابن رب, والروح القدس رب, ولكن ليسوا ثلاثة أرباب، بل رب واحد,

- 15 - وكما أن الحق المسيحي يكلفنا بأن نعترف بأن كلاً من هذه الأقانيم بذاته إله - ورب, كذلك الدين الجامع ينهانا عن أن نقول بوجود ثلاثة ألهة وثلاثة أرباب,

- 16 - فالآب غير مصنوع من أحد، ولا مخلوق, ولا مولود والابن من الآب وحده غير مصنوع ولا مخلوق، بل مولود والروح القدس من الآب والابن، ليس بمصنوع، ولامخلوق ولا مولود,

- 17 - فإذاً أب واحد لا ثلاثة آباء, وابن واحد لا ثلاثة أبناء, وروح قدس واحد لا ثلاثة أرواح قدس,

- 18 - وليس في هذا الثالوث من هو قبل غيره أو بعده ولا من هو أكبر منه ولا أصغر منه,

- 19 - ولكن جميع الأقانيم سرمديون معاً ومتساوون,

- 20 - ولذلك في جميع ما ذكر يجب أن نعبد الوحدانية في ثالوث, والثالوث في وحدانية,

- 21 - إذاً من شاء أن يخلص فعليه أن يتأكد هكذا في الثالوث,

- 22 - وأيضاً يلزم له الخلاص أن يؤمن كذلك بأمانة بتجسد ربنا يسوع المسيح,

- 23 - لأن الإيمان المستقيم هو أن نؤمن ونقر بأن ربنا يسوع المسيح هو ابن الله هو إله وإنسان,

- 24 - هو إله من جوهر الآب, مولود قبل الدهور وإنسان مولود من جوهر أمه, مولود في هذا الدهر,

- 25 - إله تام وإنسان تام كائن بنفس ناطقة وجسد بشري,

- 26 - مساوٍ للآب بحسب لاهوته, ودون الآب بحسب ناسوته,

- 27 - وهو إن يكن إلهاً وإنساناً, إنما هو مسيح واحد لا اثنان,

- 28 - واحد ليس باستحالة لاهوته إلى جسد, بل باتخاذ الناسوت إل اللاهوت,

- 29 - واحد في الجملة, لا باختلاط الجوهر, بل بوحدانية الأقنوم,

- 30 - لانه كما أن النفس الناطقة والجسد إنسان واحد, كذلك الإله والإنسان مسيح واحد,

- 31 - هو الذي تألم لأجل خلاصنا ونزل إلى الهاوية - أي عالم الأرواح - وقام أيضاً في اليوم الثالث من بين الأموات,

- 32 - وصعد إلى السماء, وهو جالس عن يمين الآب الضابط الكل,

- 33 - ومن هناك يأتي ليدين الأحياء والأموات,

- 34 - الذي عند مجيئه، يقوم أيضاً جميع البشر بأجسادهم، ويوؤدون حساباً عن أعمالهم الخاصة,

- 35 - فالذين فعلوا الصالحات يدخلون الحياة الأبدية, والذين عملوا السيئات يدخلون إلى النار الأبدية,

- 36 - هذا هو الإيمان الجامع، الذي لا يقدر الإنسان أن يخلص من دون أن يؤمن به بأمانة ويقين,

إن خلاصة ما تقدم، هي أن الله واحد وإن كان في اللاهوت ثلاثة أقانيم الآب والابن والروح القدس, اي جوهر واحد وثلاثة أقانيم غير أن الجوهر غير مقسوم,فليس لكل من الأقانيم جزء خاص منه, بل لكل أقنوم كمال الجوهر الواحد نظير الآخر, وإن ما بينهم من النسبة سر، لا يقدر العقل البشري أن يصل إليه, غير أن لنا في الكتاب المقدس ما يوضحه وكل ما جاء من خارج الكتاب المقدس عن الثالوث من أفكار فلسفية أو محاجات منطقية لم يكن إلا بسطاً أو عرضاً لما جاء في الكتاب العزيز عن طريق القياس,

والمعروف تاريخياً أن المسيحيين القدماء، قاموا بدرس عقيدة الثالوث في ضوء كتب الوحي المقدسة، وآمنوا بها واستقروا عليها, ورسموا صورتها في قوانين الكنيسة, وأبرز هذه القوانين، قانون الإيمان النيقاوي, الآتي نصه:

أنا أؤمن بإله واحد, آب قادر على كل شيء، خالق السماء والأرض، وكل ما يُرى وما لا يُرى,

وبرب واحد يسوع المسيح, ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور, إله من إله, نور من نور, إله حق من إله حق, مولود غير مخلوق, ذو جوهر واحد مع الآب, هو الذي به كان كل شيء, الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء, وتجسد بالروح القدس من مريم العذراء, وصار إنساناً وصُلب على عهد بيلاطس البنطي, وتألم, وقُبر وقام أيضاً في اليوم الثالث, وصعد إلى السماء, وهو جالس عن يمين الآب, وسيأتي أيضاً بمجد ليدين الأحياء والاموات الذي ليس لملكه نهاية,

وأؤمن بالروح القدس, الرب المحيي المنبثق من الآب والابن, المسجود له والممجد مع الآب والابن, الذي تكلم بالأنبياء,

وأعتقد بكنيسة واحدة جامعة رسولية, وأعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا, وأنتظر قيامة الموتى، وحياة الدهر الآتي, آمين,

الثالوث في الإسلام

الثابت أن الإسلام حارب تعليماً يقر بتعدد الآلهة, وها هي النصوص التي بها حارب هذا التعليم الباطل:

وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ - سورة النساء 4: 171 .

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ - سورة المائدة 5: 116 .

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ - سورة المائدة 5: 73 .

فواضح من هذه الآيات أنها تحارب تعليماً يحمل معنى الإشراك بالله وتعدد الآلهة وبما أن المسيحية لا تعلم بالإشراك ولا بتعدد الآلهة, بدليل قول المسيح: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ - متى 4: 10 .

فالثابت إذن أن الإسلام يحارب ثالوثاً غير ثالوث المسيحية, وتعليماً غير تعليمها، وعقيدة غير عقيدتها والظاهر أن حملات الإسلام على تعليم الإشراك بالله, كانت موجهة ضد بدعة ظهرت زمن بداية الدعوة الإسلامية وهذه البدعة لم يحاربها الإسلام وحده، بل حاربتها المسيحية بعنف حتى قضت عليها، كما سبق أن قلت في الرب على سؤال سابق,

ومرة أخرى أقول, إن المسيحية لا تعلم بتعدد الآلهة ولا تقول بأن المسيح إله من دون الله, بل تؤمن بأن الآب والابن إله واحد, بلا تعدد ولا افتراق وقد أكد المسيح ذلك بقوله: أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ - يوحنا 10: 30 . ولا تعلم المسيحية بأن مريم المباركة آلهة ومريم نفسها لم تدع لنفسها الألوهية, بل صرحت بأن الله مخلصها - لوقا 1: 47 .

أما قول القرآن لقد كفر الذي قالوا أن الله ثالث ثلاثة التي يستند إليها أعداء المسيحية, فقد قيلت بطائفة المرقونيين, الذين لفظتهم الكنيسة وحرمت أتباعهم، لأنهم علموا بتثليث باطل, ونادوا بثلاثة آلهة هم:

أ - عادل, أنزل التوراة

ب - صالح, نسخ التوراة والإنجيل

ج - شرير, وهو إبليس

كما أن الإسلام حارب طائفتي المانوية والديصانية اللتين تقولا بآلهين, أحدهما للخير، وهو جوهر النور, والثاني للشر، وهو جوهر الظلمة,

وقد كانت هذه الطوائف وأشباهها شر ما منيت به المسيحية, قبل الإسلام وما بعده, ولا يزال حكمها في الكنيسة حكم المذاهب الخارجية في الإسلام, الذين عدلوا عن الكتاب والسنة, كالطائفة القائلة بأن الله حل في الحاكم بأمر الله الفاطمي,

إذن فالإسلام لم يحارب عقيدة الثالوث المسيحية الصحيحة، كما يتوهم البعض, ولهذا لا أعتبر آي القرآن المقاوم لتعدد الآلهة، كان موجهاً إلى المسيحية الحقة,

وحين نتتبع هذا الموضوع في الكتب الإسلامية، نرى أن علماء المسلمين، المعتبرين كأنبياء، قد بحثوا في عقيدة الثالوث المسيحية، وثبتوا لها فكرتها الصحيحة, وحسبي أن أورد في ما يلي ما جاء في نسخة قديمة لكتاب أصول الدين لأبي الخير بن الطيب، الذ يعاصر حجة الإسلام الإمام أبا حامد الغزالي, قال:

قال بعض المسيحيين لأبي الخير بن الطيب أن الإنجيل بقوله اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس قد أوجب الاعتقاد بثلاثة آلهة, فأجابه لا ريب في أن لباب الشريعة المسيحية هو الإنجيل، ورسائل بولس الرسول وأخبار الحواريين, وهذه الكتب وأقوال علماء النصارى المثبتة في آفاق الأرض تشهد بتوحيدهم، وبما أن أسماء الآب والابن والروح القدس، إنما هي خواص لذاته الواحدة, ولولا حب الإيجاز، لأتيت على إثبات عقيدتهم مفصلاً, ولكنني مع ذلك اقتضب من أقوالهم الناطقة بصحة معتقدهم ووقيم إيمانهم ما لا يخلو من فائدة, فأقول يرى النصارى أن الباري تعالى جوهر واحد موصوف بالكمال, وله خواص ذاتية كشف المسيح عنها القناع, وهي الآب والابن والروح القدس, ويشيرون بالجوهر ذاته الذي يسمونه الباري ذا العقل المجرد إلى الآب, وبالوهر نفسه الذي يسمونه ذا العقل العاقل ذاته إلى الابن, وبالجوهر عينه الذي يسمونه ذا العقل المعقول من ذاته إلى الروح القدس, ويريدون بالجوهر هنا، ما قام بنفسه مستغنياً عن الظرف ,

وقد أشار الإمام العلامة أبو حامد محمد الغزالي إلى عقيدة المسيحيين في كتابه الرد الجميل فقال: يعتقد النصارى إن ذات الباري تعالى واحدة في الجوهر، ولها اعتبارات:

فإن اعتبر وجودها غير معلق على غيره، فذلك الوجود المطلق هو ما يسمونه بأقنوم الآب,

وإن اعتبر معلقاً على وجود آخر، كالعلم المعلق على وجود العالم, فذلك الوجود المقيد، هو ما يسمونه بأقنوم الابن، أو الكلمة,

وإن اعتبر معلقاً على كون عاقليته معقولة منه, فذلك الوجود المقيد هو ما يسمونه بأقنوم الروح القدس، لأن ذات الباري معقوله منه,

والحاصل من هذا التعبير الاصطلاحي، أن الذات الإلهية واحدة في الجوهر، وإن تكن منعوتة بصفات الأقانيم ,

وقال أيضاً:

إن الذات الإلهية من حيث هي مجردة لا موصوفة، عبارة عن معنى العقل, وهو المسمى بأقنوم الآب,

وإن اعتبرت من حيث هي عاقلة ذاتها, فبهذا الاعتبار عبارة عن معنى العاقل، وهو المسمى بأقنوم الابن أو الكلمة,

وإن اعتبرت من حيث ذاتها معقولة منها, فهذا الاعتبار عبارة عن معنى المعقول, وهو المسمى بأقنوم الروح القدس,

وعلى هذا الاصطلاح يكون العقل عبارة عن ذات الله فقط, والآب مرادف له,

والعاقل عبارة عن ذاته, بمعنى أنها عاقلة ذاتها، والابن أو الكلمة مرادف له,

والمعقول عبارة عن الإله المعقولة ذاته منه, وروح القدس مرادف له ,

ثم عقب قائلاً: إذا صحت هذه المعاني فلا مشاقة في الألفاظ ولا في اصطلاح المتكلمين ,

أما الإمام فخر الدين الرازي، فيستعرض عقيدة المسيحيين الخاصة بالثالوث على الوجه التالي:

أما المتكلمون فحكوا عن النصارى أنهم يقولون جوهر واحد, ثلاثة أقانيم آب وابن وروح القدس, وهذه الثلاثة إله واحد, كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالذات الآب, وبالابن الكلمة, وبالروح الحياة, وقالوا: إن الآب إله، والابن إله، والروح القدس إله, والكل إله واحد ـ التفسير الكبير جزء 12 صفحة 102 .

وقال صاحب كتاب اليواقيت ما نصه: قال سيدي علي بن وفا: المسلَّم أن الذات شيء واحد، لا كثرة فيه ولا تعدد, وإنما قالت المعتزلة عن تعدد القدماء من جهة تعيينها بالصفات, وذلك إنما هو تعدد اعتباري, والاعتباري لا يقدح في الوحدة الحقيقية, كفرع الشجرة بالنسبة لاصلها أو كالأصابع بالنظر إلى الكف ,

وجاء في كتاب المواقف صفحة 385 ما نصه ولا يتلبس عليك أن الأشاعرة لما أثبتوا لله صفات حقيقية، لم يكن هو تبسيطاً حقيقياً واحداً من جميع جهاته ,

وجاء في كتاب والملل والنحل ما نصه إن أبا هديل حمدان شيخ المعتزلة ومقدم الطائفة ومقرر الطريقة والمناظر عليها قال أن الباري تعالى عالم يعلم, وعلمه ذاته وقادر مقدرة, وقدرته ذاته وحي بحياة, وحياته ذاته, ولعل أبا هذيل اقتبس هذا من الفلاسفة الذين اعتقدوا أن ذات الباري واحدة, لا كثرة فيها بوجه, وإنما الصفات ليست وراء الذات معان قائمة بذاته، بل هي ذاته والفرق بين قول القائل عالم يعلم هو ذاته هو أن الأول نفى الصفة، والثاني أن إثبات ذاته هو بعينه صفة، أو إثبات صفة هي بعينها ذات وإن أثبت أبو هذيل لهذه الصفات وجودها للذات، فهي بعينها أقانيم النصارى,

وقال ابن سينا الملقب بالرئيس: أن واجب الوجود عقل وعاقل ومعقول، وأنه يعقل ذاته والأشياء, وصفاته الإيجابية والسلبية لا توجب كثرة في ذاته, ثم قال العقل يقال على كل مجرد من المادة, وإذا كان مجرداً بذاته، فهو عقل لذاته, وواجب الوجود مجرد بذاته عن المادة، فهو عقل لذاته, وبما يعتبر له أن هويته المجردة لذاته فهو معقول لذاته, وبما يعتبر له أن ذاته له هوية مجردة فهو عاقل لذاته, وكونه عاقلاً ومعقولاً, لا يوجب أن يكون اثنين في الذات, ولا اثنين في الاعتبار ,

وقال: ثم لما لم يكن جمال وبهاء فوق أن يكون الماهية عقلية صرفة وخبرية، محضة برية من المواد وانحناء النقص، واحدة من كل جهة ولم يسلم ذلك بكنهه إلا واجب الوجود, فهو الجمال المحض، والبهاء المحض، وكل جمال وبهاء وملائم وخير فهو محبوب معشوق، وكل ما كان الإدراك أشد اكتناهاً والمدرك أجمل ذاتاً, فحب القوة المدركة له، وعشقه له، والتذاذه به كان أشد وأكثر؛, فهو أفضل مدرك لأفضل مدرك, وهو عاشق لذاته، ومعشوق لذاته، عشق من غيره أم لم يعشق, وأنت تعلم أن إدراك العقل للمعقول، أقوى من إدراك الحس للمحسوس، لأن العقل إنما يدل الأمر الباقين، ويتحد به، ويصير هو هو, ويدركه بكنهه لا بظاهره، وكذلك الحس ,

ومقتضى قول ابن سينا، وهو أن الله عقل وعاقل ومعقول، أو قول أبو هذيل أن الله علم وعالم ومعلوم أن الله مركب, لأن العقل البشري لا يتصور كيف يكون الله عقلاً وعاقلاً ومعقولاً، ولا يكون مركباً, ومع ذلك فهو واحد بسيط منزه عن التركيب, وليس القصد من إيراد مثل هذا الكلام، أن الأقانيم الإلهية الثلاثة، هم عقل وعاقل ومعقول، أو علم وعالم ومعلوم, فإن كتاب الله علمنا أن الله كائن في ثلاثة أقانيم الآب والابن والروح

القدس، وعبر عن الابن بالكلمة الأزلي الخالق, فلا يجوز أن نقول غير ذلك, وإنما أوردت كلام بعض علماء الإسلام للرد على سائلي بأن المسيحيين لا يعتقدون بالتعدد أو التركيب في ذات الله الواحد, ولا يتوهمن أحد أن الأقانيم مجرد تجليات مختلفة للذات العلية, بل أن العقيدة المسيحية تعني أن الذات الواحدة كائنة في ثلاثة أقانيم, وأن التعبير عن الأقنوم الثاني بالابن، لا يعني ولادة بشرية كالمعروف عند عامة الناس, بل هو كلمة تشير إلى النسبة الأزلية، التي بين الأقنوم الأول والثاني, وكذلك لفظة انبثاق مستعارة للإشارة إلى النسبة الأزلية بين الأقنوم الثالث والأقنومين الأول والثاني,

أما لفظة الكلمة التي أطلقت على المسيح في الكتاب المقدس واقتبسها الإسلام، فهي تدل على وحدة الأقنومين الأول والثاني, ولو أن المسلم يتأمل بعمق نص القرآن، يدرك أن لفظة كلمة الله صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، ليس بحرف ولا بصوت، منزهة عن التقدم والتأخر,

وخلاصة القول أن ذات الله واحدة في ثلاثة أقانيم متساوون في القدرة والعظمة والمجد, فكما أن صفاته منزهة عن التفاوت, فكذلك الأقانيم والسائل توهم أنه توجد ثلاث ذوات في الله وهذا خطأ,

فبكلمة أخرى أن اللاهوت، لا يحد ولا يحصر, مما يجعلنا نؤمن أن الكلمة الأزلي لما اتخذ جسداً، لم يصر محدوداً ولا متناهياً لأنه روح غير محدود ولا متناه, ولا يقبل الزيادة أو النقصان, بمعنى أن التجسد، لم يغير أو يحول الطبيعة الإلهية من الأزلية والسرمدية وعدم التغير والتناهي إلى الحدوث بأن جعلها كالممكنات، حاشا وكلا، وكذلك لا يوجد أي تمييز بين الأقانيم في الذات, لأن ذاتهم واحدة ولا في زمن الوجود, لأن كلا منهم أزلي ولهم علم واحد ومشيئة واحدة, وعقل واحد, ولم يقل أي مسيحي أن في اللاهوت ثلاثة عقول, وله ثلاث إرادات, وثلاث قوات, بل الأقانيم متساوون في القدرة والعمل، فقد قال المسيح مهما علم الآب فهذا يعمله الابن - يوحنا 5: 19 - وقال رسول الأمم بولس ه كَذَا أَيْضاً أُمُورُ اللهِ لَا يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلَّا رُوحُ اللهِ - 1 كورنثوس 2: 11 . فلا امتياز في الصفات والكمالات الإلهية فالابن تجسد وقدم نفسه كفارة, والروح القدس يجدد قلوبنا, والآب أرسل الابن, والكل ذات واحدة متصفة بصفات الكمال, ولا شك أن هذا فوق إدراكنا, وقد قال الرسول عن الله مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الِا سْتِقْصَاءِ! لِأَنْ مَنْ

عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ، أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيراً؟ - رومية 11: 33 و43 .

ولا ريب في أن الإسلام يعترف بهذه الحقيقة، بدليل قول الشيخ محي الدين في كتاب الباب صفحة 322 من خاض في الذات بفكره فهو عاص لله ولرسوله وما أمر الله تعالى بالخوض في معرفة ذاته لا النافي ولا المثبت وذاك لأن العبد إذا عجز عن معرفة كنه نفسه، فعن معرفة كنه الحق تعالى من باب أولى,

وقال في الصفحة 373 أعلم أن الحق تعالى لا يدرك بالنظر الفكري أبداً، وليس عندنا أكبر من ذنب الخائضين في ذات الله بفكرهم, فإنهم قد أتوا ناقصي درجات الجهل,

عمانوئيل الله معنا

في سنة 905 عقد في الأزهر اجتماع ضم الشيخ بدر الدين العلائي الحنفي والشيخ زكريا والشيخ برهان الدين بن أبي شريف، والشيخ إبراهيم المواهبي الشاذلي وجماعة وصنف الشيخ إبراهيم فيها رسالة هذا فحواها:

بحث في الاجتماع موضوع معية الله معنا فقال الشيخ برهان الدين: أن الله معنا بأسمائه وصفاته, لا بذاته فقال الشيخ إبراهيم بل هو معنا بذاته وصفاته, فقالوا له ما الدليل على ذلك فقال قوله في القرآن : والله معكم, ومعلوم أن الله علم على الذات, فيجب اعتقاد المعية الذاتية ذوقاً وعقلاً، لثبوتها نقلاً وعقلاً, وقد قال العالمة الغزنوي في شرح عقيدة النسفي، أن قول المعتزلة وجمهور النجارية أن الحق تعالى بكل مكان بعلمه وقدرته وتدبيره دون ذاته باطل, لأنه لا يلزم، أن من علم مكاناً أن يكون في ذلك المكان بالعلم فقط, إلا إن كانت صفاته تنفك عن ذاته, فقالوا له: هل وافقك غير الغزنوي في ذلك: فقال نعم,فقد ذكر شيخ الإسلام ابن اللبان في قوله: ونحن أقرب إليه منكم ولا تبصرون إن في هذه الآية دليلاً على أقربيته تعالى من عبده قرباً حقيقياً، كما يليق بذاته لتعاليمه عن المكان, إذ لو كان المراد بقربه تعالى من عبده قربه بالعلم، أو بالقدرة، أو بالتدبير مثلاً، لقال: ولكن لا تعلمون ولكن قوله لا تبصرون دل على أن المراد به القرب الحقيقي المدرك

بالبصر، لو كشف الله عن بصرنا، فإن من المعلوم أن البصر لا يتعلق لإدراكه بالصفات المعنوية, وإنما يتعلق بالح

قائق المرئية, قال وكذلك القول في قوله: ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وهو يدل أيضاً على ما قلناه، لأن أفعل من قرب، يدل على الاشتراك في اسم القرب, وإن اختلف الكيف، ولا اشتراك بين قرب الصفات وقرب حبل الوريد, لان قرب الصفات معنوي، وقرب حبل الوريد حسي، ففي نسبة أقربيته تعالى إلى الإنسان من حبل الوريد, الذي هو حقيقي، دليل على أن قربه تعالى حقيقي، أي بالذات اللازم لها الصفات,

وقال الشيئخ إبراهيم: وبما قررناه لكم، انتفى أن يكون المراد قربه تعالى منا بصفاته دون ذاته, وأن الحق الصريح هو قربه منا بالذات أيضاً، إذ أن الصفات لا تعقل مجردة عن الذات المتعالي كما مر,

فدخل عليهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد المغربي الشاذلي شيخ الجلال السيوطي، فقال: ما جمعكم هنا، فذكروا المسألة فقال: تريدون علم هذا الأمر ذوقاً أو سماعاً، فقالوا: سماعاً: فقال: معية الله أزلية، ليس لها ابتداء, وكانت كل الأشياء ثابتة في علمه أزلاً يقيناً بلا بداية, لأنها متعلقة به تعلقاً يستحيل عليه العدم لاستحالة وجود علمه الواجب وجوده بغير معلوم واستحالة طريان تعلقه بها لم يلزم عليه من حدوث علمه تعالى بعد أن لم يكن، وكما أن معيته تعالى أزلية، كذلك هي أبدية ليس لها انتهاء, فهو تعالى معها بعد حدوثها من العدم عيناً, فأدهش الحاضرين بما قال لهم, فقال لهم: اعتمدوا ما قررته لكم في المعية, اعتمدوه ودعوا ما ينافيه تكونوا منزهين لولاكم حق التنزيه، ومخلصين لعقولكم من شبهات التشبيه, وإن أراد أحدكم أن يعرف هذه المسألة ذوقاً فليسلم قياده لي, أخرجه من ثيابه وظائفه وماله وأولاده وأدخله الخلوة وأمنعه النوم وكل الشهوات, وأنا أضمن له وصوله إلى علم هذه المسألة ذوقاً وكشفاً, قال الشيخ إبراهيم فما تجرأ أحد أن يدخل معه في ذلك العهد، ثم قام الجماعة فقبلوا يده,

فأقوال هؤلاء العلماء الأفاضل عن معية الله ظاهرة وفحواها أن حقيقة المعية هي مصاحبة شيء لآخر، سواء كانا واجبين كذات الله مع صفاته, أو جائزين كالإنسان مع مثله, أو واجباً وجائزاً وهو معية الله تعالى لخلقه بذاته وصفاته المفهومة من قول القرآن: والله معكم ومن نحوان الله مع المحسنين أو من قول الكتاب المقدس: هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً، وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ - ا لَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللّهُ مَعَنَا - - متى 1: 23 - أو من قول المسيح: وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ - متى 28: 20 - وإذا تقرر ذلك, أقول أن حلول اللاهوت في الناسوت جائز، فليس كمعية الواجب للجائز, بل هو أسمى بما لا يقاس, وإنما أوردت المعية لتوضيح هذه المسألة وتقريبها لعقولنا, فإن الإسلام يعترف بمعية الله لخلقه بذاته وصفاته وهو أمر فوق عقل البشر فكيف يحتج عامة المسلمين على اعتقاد المسيحيين بتجسد الكلمة؟

8 - إن كان غفران خطية آدم يحتاج إلى مثل هذه المسرحية المضحكة المبكية, فما الذي يحتاج إليه غفران خطايا العباد من آدم حتى قيام الساعة؟

قلت في ما تقدم أن ذبيحة المسيح رفعت خطية العالم فلا لزوم للتكرار,

أما عن مسرحيتك المضحكة المبكية, فإنك لواجدها في الزعم القائل أن الله القى شبه المسيح على شخص تضاربت آراء علماء الإسلام حول هويته, وهذا الشخص هو الذي صُلب,

أ - قالوا أنه تيطاوس اليهودي, الذي دخل بيتاً ليعتقل المسيح فلم يجده, وألقى الله عليه شبه المسيح فلما خرج ظنه اليهود أنه المسيح فصلبوه,

ب - قالوا أن اليهود لما اعتقلوا المسيح, أقاموا عليه حارساً فألقى المسيح شبهه على الحارس وصعد إلى السماء فأخذ الحارس وصُلب مكانه, وهو يصرخ أنا لست المسيح,

ج - قالوا وعد عيسى أحد أصحابه بالجنة فتطوع للموت عنه فألقى الله عليه شبه عيسى, فأخرج وصُلب أما عيسى فرُفع إلى السماء,

د - نافق أحد تابعي عيسى - يهوذا - وجاء مع اليهود ليدلهم عليه, فلما دخل لأخذه ألقى الله عليه شبه عيسى فأخذ وقتل وصُلب,

وقد سرد الإمام أبو جعفر الطبري في كتابه جامع البيان عدة روايات عن الشبه المزعوم منها:

1 - إن بعضهم قال: لما أحاطت اليهود بعيسى وبأصحابه, حُولوا جميعاً إلى شبه عيسى فأشكل الأمر على الذين كانوا يريدون قتل عيسى, وخرج إليهم بعض من كان في البيت فقتلوه وهم يحسبونه عيسى - مروية عن سلمة .

2 - مروية عن ابن حمية، عن يعقوب العتمي، عن وهب بن منبه، قال: أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريي فجاء اليهود وأحاطوا بهم, فلما دخلوا، صورهم الله على صورة عيسى, فقالوا لهم سحرتمونا، لتبرزن لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعاً, فقال عيسى لأصحابه: من منكم يشتري نفسه اليوم بالجنة, فقال رجل منهم أنا, فخرج إليهم فقال: أنا عيسى فأخذوه فقتلوه وصلبوه,

3 - مروية عن محمد بن الحسين، عن السدي، قال أن بني إسرائيل حصروا عيسى وتسعة عشر رجلاً من الحواريين في بيت, فقال عيسى لأصحابه: من يأخذ صورتي فيُقتل وله الجنة, وفأخذها رجل منهم، وصعد عيسى إلى السماء, أما الرجل الذي أخذ الصورة فقُتل وصُلب,

4 - مروية عن ابن اسحاق، قال: أرسل ملك بني إسرائيل واسمه داود رجلاً ليقتل عيسى، فذهب مع عصبة ليقوم بالمهمة وكان مع ثلاثة عشر من أصحابه, فلما أيقن عيسى أنهم داخلون عليه ألقى شبهه على أحدهم فأمسكوه وصلبوه,

فأيا كان الذي ألقي عليه الشبه يهوذا ام غيره، فهنا المسرحية المضحكة المبكية, إذ فيها اتهام الله سبحانه بأنه لبس على البشر وسلم مسكيناً للقتل والصلب, ولكن حاشا لله أن يخدع أحداً,

لا يخدع الله قوماً يؤمنون به

فتلك خدعة إنسان لإنسان

9 - لماذا أجل الفداء إلى زمن المسيح وما حكم من ماتوا قبل الفداء به؟

من المسلم به أن الله في مشورته, عين زمان ومكان وذبيحة الفداء, وهذا ينفي كلمة تأجيل التي جاءت في سؤالك,

صحيح أن الأرض وقعت تحت اللعنة, بسبب سقوط آدم, إلا أن الله قد قضى بأن اللعنة يجب أن تأخذ مفعولها قبل إصلاح كل شيء بالمسيح الآتي, وذلك بواسطة خراب عمومي تتغير به هيئة الأرض، لكي تظهر نتائج السقوط الردية قبل حصول الإصلاح,

وأيضاً مجيء المسيح لم يكن مناسباً قبل مجيء موسى لأن الناس لم يكونوا بوجه العموم قد زاغوا كلياً عن الله أي لم يكونوا بأجمعهم واقعين في ظلمة الأوثان,

وربما كان من جملة الأسباب لعدم مجيء المسيح قبل الطوفان أو بعده مباشرة, أن الله أراد أن تمتلئ الأرض من البشر, تمشياً مع وصيته لآدم - تكوين 1: 28 .

ولم يكن مجيئه مناسباً قبل سبي بابل، لأن مملكة الشيطان لم تكن يومئذ قد بلغت أوج عظمتها فممالك الوثنيين, كانت صغيرة قبل السبي, فاستحسن الله أن يأتي المسيح في زمان أكبر مملكة وثنية عرفها التاريخ, وهي مملكة الرومان, التي كانت هي مملكة الشيطان المنظورة في هذا العالم، فيكون المسيح بغلبته على هذه المملكة، قد غلب مملكة الشيطان وهي في أبان عزها وقمة مجدها,

المهم أن الكلمة الذي كان في البدء عند الله, وكان الكلمة الله قد جاء في ملء الزمان ليصير في عمانوئيل الله معنا ليفتدينا, فتراه الأعين وتسمعه الآذان وتلمسه الأيدي، وترى الأعين مَجْدَهُ، مَجْداً كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً والمؤمنون به أخذنا من ملئه، ونعمة فوق نعمة وكان الكلمة المتجسد هو الذروة العليا

للمظاهر التي أعلن الله بها ذاته للبشر, فيه لم تعلن قوة الله وعظمته فقط، بل أعلن للبشر قلب الله الحنون ورحمته وعطفه ومحبته,

نعم، هكذا صارت المشيئة الإلهية، أن ينتظر العالم حقبة من طويلة من الزمن، قبل أن يبزغ نور إعلان الفداء بعمانوئيل الذي تفسيره الله معنا, ولكن الله خلال هذه المدة كان يعني جد العناية بهذا العالم البائس,

ويخبرنا التاريخ أنه عند تجسد المسيح، كان في العالم ثلاثة شعوب, هي صاحبة النفوذ في ذلك العصر: اليونان والرومان واليهود, كان اليوناني مثقفاً مصقولاً، والروماني قوياً متسلطاً، واليهودي متمسكاً بناموس الله, وهذه الشعوب الثلاثة تعاونت دون أن تدري على إعداد الطريق لمجيء المسيح، مما يجعلنا نعتقد بأن هذا التعاون العفوي الذي تم هو من تدبير العناية الإلهية، لإعداد طريق الآتي باسم الرب,

وقبل كل شيء نرى أنه استخدم الرومان لإعداد الطريق, بتوحيد أجزاء العالم المتمدن، وإشاعة الأمن في رحابه، بعد أن كانت عصابات السلب والنهب تعبث فيه فساداً حتى أنه كان قبل ذلك متعذراً على أية دعوة تنبعث عن الديار المقدسة أن تتعدى تخوم تلك الديار الصغيرة,

وكذلك اليونانيون قاموا بنصيبهم وهم لا يدرون بإعداد طريق المسيح, وذلك بتقديم لغتهم اليونانية الجميلة اللينة، التي كانت آنئذ اللغة الرئيسية والرسمية في الأمبراطورية, فبهذه اللغة كانت أداة طيبة لنشر رسالة الإنجيل في كل ربوع العالم المتمدن,

وأما اليهود الذين تشتتوا في كل أصقاع العالم، فقد حملوا معهم أسفارهم المقدسة لأن موسى أوصاهم بأن يقرأوها في المجامع كل سبت, وكان من أهم عوامل الاتصال بين هذه الشعوب أن الكتاب المقدس تُرجم إلى اللغة اليونانية، مما أتاح للعالم الوثني أن يطلع على النبوات الخاصة بالمسيح المنتظر، وبالتالي أن يستعد لقبوله, وأنه لغريب حقاً أن تتحد هذه الشعوب لإعداد طريق الرب وهي لا تدري,

ولعل أغرب ما في الأمر كله، هو الانتظار الحار، الذي كان عليه الشعب اليهودي قبل مجيء المسيح ويعزو الباحثون هذا الانتظار إلى انقطاع الوحي عنهم خلال خمسة قرون وكان من البديهي أن ينسى الناس وتضعف الآمال المرتقبة ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث بل كان شوق الناس إلى مشتهى كل الأمم يزداد كل يوم,

ومما لا ريب فيه أن الأمم الذين اطلعوا على الكتابات المقدسة شاركوا اليهود في النتظارهم ولنا دليل على ذلك في مجيء المجوس من الشرق الى الديار المقدسة للسجود لطفل المذود يسوع,

ومما يجدر ذكره هو أنه عند تجسد الكلمة في مذود بيت لحم, حدثت أمور مهمة جداً أعادت الرجاء إلى قلوب منتظري الرب منها:

أ - رجوع روح النبوة والوحي الذي كان قد احتجب بعد ملاخي النبي، حيث توقفت الرؤى والوحي أما وقد جاء ملهم الأنبياء, فقد أعطيت من جديد فظهر هذا الروح أولاً في الوحي إلى زكريا الكاهن, فأليصابات، فمريم العذراء، فيوسف، فسمعان الشيخ، فحنة النبية، فيوحنا المعمدان,

ب - الفرح العظيم الذي عم السماء والأرض, وأعربت عنه أجواق الملائكة حين حيوا الأرض بنشيد قائلين: الْمَجْدُ للّه فِي الْأَعَالِي، وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ - لوقا 2: 14 - فأهل السماء والأرض كانوا يرقبون تجسد الكلمة لأنهم اطلعوا على مواعيد الله المتعلقة بالفداء الذي أعده تعالى,

ج - دخول يسوع الطفل إلى الهيكل, فتم ما قبل بالنبي القائل: وَيَأْتِي مُشْتَهَى كُلِّ الْأُمَمِ، فَأَمْلَأُ هَذَا الْبَيْتَ مَجْداً قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. لِي الْفِضَّةُ وَلِي الذَّهَبُ يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُ هَذَا الْبَيْتِ الْأَخِيرِ يَكُونُ أَعْظَمَ مِنْ مَجْدِ الْأَوَّلِ، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. وَفِي هَذَا الْمَكَانِ أُعْطِي السَّلَامَ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ - حجي 2: 7-9 .

10 - لقد عرف التثليث قبل النصرانية في عبادات الوثنيين في فارس، واليونان، والرومان، والهند، والصين, فما السر في ذلك؟

يوجد بون شاسع وفرق بعيد بين العقيدة المسيحية وعقائد الوثنيين, فالمصريون القدماء، كانوا يؤمنون بثالوث ممثل في أزوريس، وإيزيس، وهو ريس, ولكن هؤلاء لم يكونوا إلهاً واحداً بل كانوا ثلاثة آلهة,

وكذلك الهنود, آمنوا بأن جوهر إلهي بسيط غير شاعر بنفسه، خال من الصفات صدر منه ثلاثة آلهة تنوب عنه، وتفوق غيرها من الآلهة مقاماً, واسم الأول براهمة، وهو الخالق وأصل كل شيء, واسم الثاني وشنو، وهو الحافظ لكل شيء, واسم الثالث شيوا، وهو المخرب وهم أيضاً ثلاثة آلهة,

أما الفرس فقد آمنوا بوجود إلهين عظيمين، اسم الأول أرومازاد، وهو إله الخير, واسم الثاني أهرمان، وهو إله الشر وقالوا أن كل ما هو خير وروحي يرجع إلى إله الخير، وكل ما هو شرير ومادي يرجع إلى إله الشر, وإذا رأوا أن الصراع بين الخير والشر صراع دائم مستمر قائم، التزموا أن يقولوا أن هذين الإلهين أزليان متساويان، ولا يمكن لأحدهما أن يتغلب على الآخر,

على أي حال فالثالوث المسيحي، لا يمت بآية صلة إلى هذه المعتقدات الوثنية وليس في وجودها, ما يبطل حقيقته مثله كاسم الجلالة الله فمع أنه عرف عند العرب الوثنيين قبل الإسلام، إلا أن هذا الواقع لم يجد الإسلام فيه ما يشكل طعناً في القرآن فقد ذكره شعراء الجاهلية في قصائدهم منهم:

لبيد إذ قال:

لعمرك لا تدري الضوار بالحصى ---- ولا زاجرت الطير ما الله صانع

النابغة الذبياني إذ قال:

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم ---- من الجود والأخلاق غير موارب

وقال أيضاً:

ألم تر أن الله أعطاك صورة ---- ترى كل ملك جونها يتذبذب

وهل يقل فضل القرآن في كونه جعل الطواف بالصفا والمروة من شعائر الله، مع العلم أنه في الصفا والمروة كانت تقام عبادة الصنمين أساف ونائلي قبل الإسلام,

وكذلك الحج والعمرة والوقوف في عرفه, والمزدلفة ورمي الجمار, وتقبيل الحجر الأسود, كانت من شعائر العرب الوثنيين قبل الإسلام,

وما قولك في أن لقصة الإسراء والمعراج مثيلاً في كتب الزرادشتية الدينية, وهل يضر الإسلام في شيء في كون اليهودية سبقته إلى عقيدة التوحيد,

11 - الحواريون الذين عاصروا المسيح وناصروه، لم يقبت أن عبدوا المسيح، واعتقدوا بألوهيته، فهل أنتم أعلم به من الحواريين؟

يخبرنا الإنجيل أن الرب يسوع قبيل صعوده إلى السماء جمع تلاميذه وقال لهم: هذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ، أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ . حِينَئِذٍ فَتَحَ ذِهْنَهُمْ لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ. وَقَالَ لَهُمْ: هكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَهكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الْأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الْأُمَمِ، مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمَ. وَأَنْتُمْ شُهُودٌ لِذ لِكَ. وَهَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ مَوْعِدَ أَبِي. فَأَقِيمُوا فِي مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْ تُلْبَسُوا قُوَّةً مِنَ الْأَعَالِي . وَأَخْرَجَهُمْ خَارِجاً إِلَى بَيْتِ عَنْيَا، وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَبَارَكَهُمْ. وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمُ انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأُصْعِدَ إِلَى السَّمَاءِ. فَسَجَدُوا لَهُ وَرَجَعُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ، وَكَانُوا كُلَّ حِينٍ فِي الْهَيْكَلِ يُسَبِّحُونَ وَيُبَارِكُونَ اللّهَ. آمِينَ - لوقا 24: 44-53 .

فهذه الآيات التي اختتم بها الإنجيل بحسب لوقا تبين أن الحواريين في ساعة وداع معلمهم تعبدوا للمسيح كجماعة, أما كفرادي ففي الكتاب المقدس عدة شهادات للحواريين تدل على أنهم كانوا يعتقدون بألوهيته منها:

أ - شهادة يوحنا الإنجيلي: إذ قال: فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، والْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللّه، وكَانَ الْكَلِمَةُ اللّهَ. هذا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللّهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، والْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ - يوحنا 1: 1-4 .

أنا هُوَ الْأَلِفُ والْيَاءُ، الْبَدَايَةُ والنِّهَايَةُ، يَقُولُ الرَّبُّ الْكَائِنُ والَّذِي كَانَ والَّذِي يَأْتِي - رؤيا 1: 8 .

ب - شهادة توما، يخبرنا الإنجيل: وَبَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ كَانَ تَلَامِيذُهُ أَيْضاً دَاخِلاً وَتُومَا مَعَهُمْ. فَجَاءَ يَسُوعُ والْأَبْوَابُ مُغَلَّقَةٌ، وَوَقَفَ فِي الْوَسَطِ وَقَالَ: سَلَامٌ لَكُمْ . ثُمَّ قَالَ لِتُومَا: هَاتِ إِصْبِعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي، وَلَا تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِناً . أَجَابَ تُومَا: رَبِّي وَإِلهِي - يوحنا 20: 26-28 .

ج - شهادة بطرس, - 1 - قال يسوع لتلاميذه الاثني عشر: أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً تُرِيدُونَ أَنْ تَمْضُوا؟ فَأَجَابَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: يَا رَبُّ، إِلى مَنْ نَذْهَبُ؟ كَلَامُ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ - يوحنا 6: 27-28 .

سأل يسوع سمعان بطرس: يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي؟ فقَالَ لَهُ: يَا رَبُّ، أَنْتَ تَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ. أَنْتَ تَعْرِفُ أَنِّي أُحِبُّكَ - يوحنا 21: 17 .

د - شهادة الرسول بولس: وَمِنْهُمُ الْمَسِيحُ حَسَبَ الْجَسَدِ، الْكَائِنُ عَلَى الْكُلِّ إِلهاً مُبَارَكاً إِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ - رومية 9: 4 .

12 - التوراة تنص على أن كل من علق على خشبة فهو ملعون وأنتم تصرون على أن المسيح عُلق على خشبة الصليب,,, وتتباهون بتعليق الصليب على صدوركم، ونحن نصر على تنزيه المسيح من تخريصاتكم، فمتى نتفق؟

أ - نص التوراة صحيح ويسوع المسيح عُلق على خشبة الصليب كفاد تحمل لعنة الله الآب بدل عنا وفعل ذلك لكي يزيل حكم اللعنة عن البشر، الذين لم يثبتوا في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس,

ب - إن كان أحد مدعواً مسيحياً ويُعلق الصليب في عنقه تباهياً, فذلك لا يعنينا بشيء وهو ليس من مدلولات الإيمان الحقيقي أما بالنسبة لكل مسيحي حقيقي فإنه يتذكير ما قاله الرسول المغبوط بولس: وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلَّا بصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَم - غلاطية 6: 14 . وطبعاً ليس المقصود به الصليب الذي يعلق على الصدور بل الأفتخار بصليب المسيح وما عمله المسيح على الصليب من فداء وتمجيد لله

ج - كلا، لسنا بمخرصين فموت المسيح الفدائي حقيقة تستند على النبوات وشهادة الرسل الذين شهدوا موته وعاينوا قيامته وكذلك التاريخ شاهد لهذه الحقيقة, وإذا ما تأملنا في كتابات الرسل الموحى بها، نرى أن الإنجيل الذي بشروا به منذ فجر المسيحية, وقبله الناس وبه خلصوا، إنما كان الخبر السار، الذي لخصه بولس رسول الأمم بهذه العبارات الصريحة: وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ بِالْإِنْجِيلِ الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ، وَقَبِلْتُمُوهُ، وَتَقُومُونَ فِيهِ، وَبِهِ أَيْضاً تَخْلُصُونَ، إِنْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَ أَيُّ كَلَامٍ بَشَّرْتُكُمْ بِهِ. إِلَّا إِذَا كُنْتُمْ قَدْ آمَنْتُمْ عَبَثاً! فَإِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الْأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضاً: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ - 1 كورنثوس 15: 1-6 . ومع ذلك فبعد مرور ما يربوا على الخمسماية سنة على انتشار هذا الإنجيل في كل العالم، جاء من يعترض على هذه الحقيقة لكأنه يقول للمسيحيين، أنتم على خطأ في دينكم,

لقد دار في خلدي أن أقوم والسائل الكريم بجولة في موضوع الصليب مستعرضاً أقوال الأنبياء ورسل المسيح وإعلانات المسيح نفسه, وما كتبه المؤرخون وشهود العيان ولكن لا لزوم لذلك، لأن العالم السماوي بكتبه الموحى بها، والعالم الأرضي بسجلاته التاريخية يشهدان بذلك:

وليس يصح في الأذهان شيء ---- متى احتاج النهار إلى دليل

د - أما عن القسم الأخير من سؤالك فأقول: يخبرنا الإنجيل أن الرب يسوع حين وجه دعوته إلى اليهود قال: مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ لَا أُخْرِجْهُ خَارِجاً - يوحنا 6: 37 . وقال أيضاً: أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ والْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا - يوحنا 11: 25 .

فالإقبال إلى يسوع معناه قبوله مخلصاً شخصياً بالفداء الذي أكمله بذبيحته الكفارية على الصليب, والإيمان بيسوع يشمل الإيمان بلاهوته,فإذا أردتم أن نتفق فعلاً، فهلم نردد معاً التسبيحة التي أطلقها سكان أورشليم حين جاءهم يسوع في موكب رئيس السلام: مبارك الآتي باسم الرب وحينئذ نشارك معاً جماهير المفديين في ترنيمة الفداء قائلين الَّذِي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَّلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ، وَجَعَلَنَا مُلُوكاً وَكَهَنَةً لِلّهِ أَبِيهِ، لَهُ الْمَجْدُ والسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الْآبِدِينَ. آمِينَ - رؤيا 1: 5 و6 -